لماذا التوحيد ..

للأستاذ الشيخ محمد عبد المجيد الشافعى
الرئيس العام للجماعة

بسم الله الرحمن الرحيم

التقوى
هى الطريق إلى مخارج الخير ومسالك الرزق

تتوالى الصيحات وتنتشر المخاوف منذرة بخطر كبير وشر مستطير بوقوع أكبر مجاعة فى العالم إذا لم تتدارك كل دولة خطر الجوع الذى يهدد البشرية ، وقد لجأت كل دولة باتخاذ ماينا سبها من خطط لتزيد فى إنتاجها وتتوسع فى صناعاتها وانتشار تجاراتها وزيادة صادراتها لتحمى شعوبها من الكارثة التى أصبحت وشيكة الوقوع .

وانساقت الدول العربية عامة ، والإسلامية خاصة تحت شعارات زائفة وصيحات باطلة تطالب شعوبها بتحديد النسل ومنع الحمل خوف الجوع والفقر ولم تبحث عن الأسباب الأصيلة التى دفعت إلى فساد الحال وسوء المآل ، حيث يقول الله سبحانه (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم)[1] ونسوا الله فأنساهم أنفسهم وحقت عليهم كلمة العذاب

ألا فليتعظ المسلمون وليفتحوا أعينهم على كتاب الله فإنه كتاب أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير ليجدوا فيه حلا لكل مشكلة ، وبياناً لكل معضلة ، وجواباً لكل مسألة ، وليقرأوا قول الله تعالى : (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا[2] ...) .

ويقول تعالى فى سورة الطلاق (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب[3]) .

ولهذه الكلمات الطيبة من كلام الله جل شأنه قصة رائعة تمنحك قوة فى الإيمان

(١) سورة النساء آية ١٦٠ . (٢) سورة الاعراف آية ٨٧ . (٣) سورة الطلاق الايتان ٢ ، ٣ .

وطمأنينة فى النفس وثباتاً فى الجنان .
وإليك مايرويه ابن جرير ومحمد بن إسحاق عن جابر بن عبد الله قال :

نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى أسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى رسول الله ﷺ وشكا إليه الفاقة وقال إن العدو أسرابنى وجزعت الأم فما تأمرنى — فقال ﷺ اتق الله واصبر وآمرك وإياها أن تستكثرا من قول لاحول ولاقوة إلا بالله . فقالت نعم ما أمرنا به فجعلا يقولان فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها إلى أبيه وهى أربعة آلاف شاة فنزلت الآية ، فجعل النبى ﷺ تلك الأغنام له .

الأرزاق بقدر وحكمة :

إن الأرزاق لايمكن أن توزع على الناس عفوا ولكن الله ينزل بقدر مايشاء لأن كل شىء عنده بمقدار .. وكم من مؤمن قد قدر عليه رزقه ، وكم من فاجر أو كافر قد زيد له فيه ولكن قصة ثعلبة توضح لنا السبب فى ذلك وتبين أن الخير فيما أراد الله وإن بدا للانسان شراً وأن البر فيما قضى الله وإن تراءى للانسان بؤساً وخيراً .

وإليك قصة ثعلبة كما رواها ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث أبى أمامة الباهلى « أن ثعلبة بن حاطب الأنصارى قال لرسول الله ﷺ ادع الله أن يرزقنى مالا ، فقال رسول الله ﷺ ويحك ياثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لاتطيقه . قال: ثم قال مرة أخرى فقال: أما ترضى أن تكون مثل نبى الله : فوالذى نفسى بيده لو شئت أن تسير معى الجبال ذهباً وفضة لسارت . قال: والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقنى مالا لأعطين كل ذى حق حقه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارزق ثعلبة مالا ، قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة ، فتنحى عنها ، فنزل وادياً من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة ويترك ماسواها ، ثم نمت وكثرت . فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة وهى تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة . فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة يسألهم عن الأخبار فقال رسول الله ﷺ مافعل ثعلبة ؟ فقالوا يارسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة فأخبروه بأمره فقال ياويح ثعلبة . ياويح ثعلبة ، وأنزل الله سبحانه :

(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) الآية(١) .

قال ونزلت عليهم فرائض الصدقة فبعث رسول الله ﷺ رجلين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه الكتاب الذى فيه الفرائض فقال ماهذه إلا جزية ، ما هذه

(١) سورة التوبة آية ١٠٢ .

إلا أخت الجزية . ما أدرى ماهذا انطلقا حتى تفرقا ثم عودا إلى ، فلما رجعا مرا بثعلبة ، فقال أرونى كتابكما فنظر فيه ، فقال ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيى فانطلقا حتى أتيا النبى ﷺ فلما رآهما قال ياويح ثعلبة قبل أن يكلمهما ودعا لكل من دفعوا صدقاتهم بالبركة . فأنزل الله فيه (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون . ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب)(١)

ومعنى الآيات الكريمات : إن من المنافقين من أعطى الله عهده لئن آتاه من فضله ليصدقن من ماله وليكونن من الصالحين ، فما وفى بما قال ، ولا صدق فيما ادعى ، فأعقبهم هذا الصنيع نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقون الله عز وجل يوم القيامة .

أعاذنا الله وإخواننا من سوء المنقلب ونسأل الله أن يغفر لنا مامضى من ذنوبنا وأن يعصمنا فيما بقى من أعمارنا ، وأن يرزقنا عملا زاكيا يرضى به عنا إنه عفو كريم رحيم .

وهكذا نستطيع بعد ذلك أن نستوعب قول الله سبحانه إذ يقول (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر مايشاء إنه بعباده خبير بصير)(٢)

ومن خلال هذه الحادثة والوقائع الجارية أن يتم إيمانك فتؤمن بالقدر خيره وشره وأن ماتراه خيراً قديكون فى الغيب شراً ، وماتراه شراً قديكون خيراً كما يقول الله عزوجل (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون)(٣)

سعة الرزق ليست دليلا على رضاء الله

إن عدالة الرزاق تقتضى أن يرزق الإنسان كله به البر والفاجر ، المسلم والكافر وهو سبحانه قد بين القواعد العادلة فى هذا الشأن فقال جل شأنه (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحوراً ، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا)(٤) .

(١) سورة التوبة الآيات ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨
(٢) الشورى ٢٧ (٣) البقرة ٢١٦ (٤) الإسراء ١٩ — ٢١

فكان الرزق عند الرزاق أسباب وأن الإنسان مطالب بالسعى على رزقه وبالأسباب يتخذها وكل بحسب مايبذل من جهد فى تحصيل الرزق والله بعد ذلك واسع عليم .

وهو يقول وقوله الحق (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور)(١) .

ولا أدل على ذلك من قول الله سبحانه (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون)

الرزق مباح حتى للكافرين

والرزاق كريم حليم يدع رزقه يغمر المسلم والكافر ، ويكفيك فى هذا قول الله تعالى (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير) .

(١) البقرة ١٢٥ (٢) البقرة ١٢٦

أخبار العالم الاسلامي

• أصدرت رابطة العالم الإسلامى بياناً استنكرت فيه إعدام السلطات الصومالية عشرة من العلماء المسلمين لمطالبتهم السلطات العسكرية بتطبيق مبادىء الشريعة الإسلامية ، كما استنكرت اعتقال المئات لأنهم لم يوافقوا على القوانين المنافية للشريعة السمحاء .

• ابتعثت رابطة العالم الإسلامى فضيلة الشيخ محمود صبغة ليكون داعية إسلامياً ومدرساً فى سورينام ، وقد تلقى معالى الأمين العام للرابطة رسالة شكر من جمعية أهل السنة والجماعة على الاهتمام الذى توليه الرابطة للمسلمين فى سورينام .

الحكم البليغة فى خطب النبى صلى الله عليه وسلم

بقلم سماحة الشيخ : عبد الله بن حميد

الرئيس العام للاشراف الدينى بالمملكة العربية السعودية

— ٤ —

ويتضمن : ١ — حفظ الله ووقايته لمن اعتصم بكتابه العزيز .

٢ — دليل إثبات علو الله على عرشه .

٣ — الحكم التى اشتملت عليها خطبته يوم النحر .

فانظر إلى حفظ الله ووقايته لمن اعتصم بكتابه العزيز حيث وقاهم وحفظهم من بأس الصائلين وكيد الكائدين، ولم يتمكن أعداؤه من الوصول إليهم .. بل جعل على أبصارهم غشاوة تمنعهم من رؤية من قصدوه بسوء وشر ..

هذا الإمام القرطبى يحكى عن نفسه لما لجأ فارسين فى فضاء من الأرض ليس يستره شىء لا شجر ولا جبل ولا غيرهما، على الرغم من قربهما منه ورؤيته لهما وسماعه لكلامهما ومع هذا لم يتمكنا من رؤيته وإيقاع ضرر به بل اعمى الله أبصارهما فرجعا خائبين وحفظ الله الإمام القرطبى لما التجأ إلى الله واعتصم بكتابه العزيز ..

قوله ﷺ وأنتم تسألون عنى : فماذا أنتم قائلون ..

أى مسئولون عن تبليغى وعدمه . فماذا أنتم قائلون فى حقى قال تعالى : (فلنسألن الذين ارسل إليهم ولنسألن المرسلين ..) .

وقوله : « قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت » .

أى بلغت ما أرسلت به إلى الناس كافة وأديت الأمانة التى حملتها أحسن أداء وأكمله، ونصحت أى بذلت وسعك فى نصح أمتك بدلالتهم على ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم وتحذيرهم عن كل ما يرديهم ويضرهم فى دينهم ودنياهم فلا خير إلا دل الأمة عليه وأمرهم به وحثهم عليه ورغبهم فيه . ولا شر إلا حذرها وأنذرها عنه .

قوله : فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم أشهد ثلاث مرات فيه دليل على إثبات علو الله على عرشه حيث رفع إصبعه ﷺ إلى السماء. ومن المتقرر عند أهل السنة والجماعة وسلف الأمة من الصحابة والتابعين أن الله مستو على عرشه بائن من خلقه كما قال تعالى (الرحمن على العرش استوى) والآيات والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة جداً ..

وقد ألف العلماء فى هذه المسألة مؤلفات عده كالإمام الذهبى ألف كتابا سماه إثبات العلو للعلى الغفار ، وموفق الدين ابن قدامه الحنبلى ألف كتاباً فى ذلك أيضاً وكتب العلماء مملوءة بذكر الأدلة من الآيات والأحاديث وأقوال الصحابة والتابعين وحتى جاهلية العرب يذكرون ذلك فى أشعارهم من أن الله مستو على عرشه فلا نطيل بذكر الأدلة فى ذلك فمن طلبها وجدها فى أماكنها ..

وقوله ﷺ : وينكتها إلى الناس وفى رواية وينكتها إلى الناس . والمراد يقلبها ويرددها يستشهد الله عليها بتبليغ رسالات ربه وتأديته لما أمن عليه من نصحهم وإرشادهم والصبر على أذاهم ..

خطبته ﷺ يوم النحر

روى الإمام أحمد عن جابر رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ يوم النحر فقال أى يوم أعظم حرمة ؟ قالوا يومنا هذا قال : فأى شهر أعظم حرمة ؟ قالوا شهرنا هذا: قال أى بلد أعظم حرمة ؟ قالوا بلدنا هذا . قال فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا هل بلغت ؟ قالوا : نعم قال اللهم أشهد .

قوله ﷺ : أى يوم أعظم حرمة . .

أى يحرم فيه التعدى من قتال وغيره أكثر من سائر الأيام ..

قوله : قالوا يومنا هذا . أى اليوم العاشر الذى هو الحج الأكبر ..

وقوله ﷺ : أى شهر أعظم حرمة قالوا شهرنا هذا أى شهر ذى الحجة ..

وقوله ﷺ : أى بلد أعظم حرمة قالوا بلدنا هذا أى مكة إذ أنها أفضل بقاع الأرض. وفيها الكعبة المشرفة التى جعلها الله قياماً للناس وأمنا وفيها ، ولد النبى ﷺ وأرسل إليه ، وهى مولد الخلفاء الراشدين وقد تكاثرت النصوص فى فضلها وعظم شأنها، والمعنى ما يقع فى ذلك اليوم والشهر والبلد من قتال وتعد على الناس فإنه وإن كان فى

هذا اليوم والشهر والبلد أشد غلظة وأعظم جريمة مما لووقع فى غيرها وغيرها أيضاً من يوم وشهر وبلد حرام فيه قتال الناس بغير حق والتعدى عليهم فى أعراضهم ودمائهم وأموالهم، وإنما أراد بذلك تذكيرهم ما هو مستقر فى نفوسهم من حرمة اليوم والشهر والبلد ليبنى عليه ماأراد تقريره حيث قال: فإن دماءكم وأموالكم وفى رواية وأعراضكم عليكم حرام. والعرض بكسر العين موضع المدح والذم فى الإنسان فى نفسه أوفى سلفه. والمعنى أن انتهاك دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام. فمال المسلم حرام كحرمة دمه وعرضه وقد تقدم بيان ذلك مستوفى فى شرح خطبته ﷺ بعرفه..

* * *

وقوله ﷺ: كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا..

إنما شبهها فى الحرمة بهذه الأشياء لأنهم كانوا لا يرون استباحتها وانتهاك حرمتها بحال. وقال ابن المنير: قد استقر فى القواعد أن الأحكام لا تتعلق إلا بأفعال المكلفين، فمعنى تحريم اليوم والبلد والشهر تحريم أفعال الاعتداء فيها على النفس والمال والعرض، فما معنى إذاً تشبيه الشىء بنفسه وأجاب بأن المراد أن هذه الأفعال فى غير هذا البلد وهذا الشهر وهذا اليوم مغلظة الحرمة عظيمة عند الله فلا يستسهل المعتدى كونه تعدى فى غير البلد الحرام والشهر الحرام بل ينبغى له أن يخاف خوف من فعل ذلك فى البلد الحرام وإن كان فعل العدوان فى البلد الحرام أغلظ فلا ينفى كون ذلك فى غيره غليظاً أيضاً.. وتفاوت ما بينهما فى الغلظ لا ينفع المعتدى فى غير البلد الحرام فإن فرضناه تعدى فى البلد الحرام فلا يستسهل حرمة البلد بل ينبغى له أن يعتقد أن فعله أقبح الأفعال وأن عقوبته بحسب ذلك فيراعى الحالتين:

قوله ﷺ هل بلغت؟ قال اللهم أشهد. المعنى هل بلغتكم ما أرسلت به إليكم لأن التبليغ فرض عليه ﷺ فقالوا: نعم، أى أى بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة فعند ذلك استشهد الله عليهم بقوله: اللهم أشهد والرسول ﷺ بلغ ما أمر به فى قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته).

من أخبار الجماعة

• سافر إلى المملكة العربية السعودية فضيلة الشيخ رشاد الشافعى الرئيس العام للجماعة وأعضاء السنة المحمدية. على رأس وفد علمى ورسمى لتأدية العزاء فى فقيد الإسلام والعروبة جلالة الملك فيصل.

بدعة الاحتفال بذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم

للامام الراحل : الأستاذ الجليل الشيخ محمد حامد الفقى

تغمده الله برضوانه ورحمته

[كتب إمامنا الراحل الأستاذ الجليل الشيخ محمد حامد الفقى ـ رحمه الله ـ مجموعة من المقالات الإسلامية التى نعتز بها ، سجل فيها خواطره الدينية ورؤياه الثاقبة . من هذه المقالات مقالته البليغة حول بدعة الاحتفال بذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم . وقد رأينا إعادة نشرها لما فيها من المعانى الدينية القيمة والمثل الإسلامية العظيمة ـ عملا على حفظ التراث الدينى واعتباره نبراسا يضيء لنا الطريق فى هذا الزمن الذى كثرت فيه البدع والانحرافات والشعوذات من المضللين والمتقولين]

مهد الله تعالى لانبثاق فجر النور المحمدى بمقدمات نبهت العقول إلى قرب مجيئه ، وأعدت النفوس وهيأتها لتلقيه بما هو أهل له من التصديق ، والإذعان ، والإجلال والإعظام ، والإكبار .

فكان حادث أبرهة مع جيشه الكثيف وفيلته العظيمة ، وإجرامه الفظيع فى محاولة هدم بيت الله العتيق وعجز قريش وأحلافهم عن صده ورده ولجوئهم وفزعهم إلى الله على لسان شيخ قريش يومئذ عبد المطلب ، إذ تعلق بأستار الكعبة ، ونادى ربه :

لاهم(١) إن المرء يمنع رحله
فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب
وعابديه اليوم آلك

فمنع الله بيته ورد كيد عدوه فى نحره (فأرسل عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول) لا كرامة لقريش ولا نصرة لهم ولشيخهم ،

(١) أى اللهم

فلم يكونوا بشركهم ووثنيتهم الفاجرة ، وتلويثهم البيت الذى طهره إبراهيم للطائفين والعاكفين والركع السجود - بما نصبوا عليه وحوله وبداخله من صور وتماثيل آلهتهم التى اتخذوها من دون الله ، وإنما كان ذلك إكراماً وتمهيداً لذلك المولود الكريم الذى سيولد فى هذا العام الولادة الأولى البشرية فيكون المثل الأعلى فى طفولته لتربية النشء على الطهر والعفاف وعزة النفس وصيانتها عن كل مايتسفل بها إلى درك الصغار والفساد، والذى سيولد الولادة الثانية الروحية العلمية الرسالية حين يبعثه فيحمى به هذا البيت العتيق ويطهره من تلك الأرجاس الشركية ، ويدفع عنه الهدم المعنوى الذى هد وقوض أركانه الدينية ، بما ألصقت به قريش من صور وتماثيل أوليائهم الذين (لايخلقون شيئاً وهم يخلقون ، أموات غير أحياء ومايشعرون أيان يبعثون) .

وقد قرن الله تعالى بميلاد ذلك المولود العظيم آيات بهرت العقول ، إرهاصاً بنبوته ، وإعلاماً بجلالته ، وإيذاناً بفضيلته ، وجعله يتيماً لم ير أباه حتى يكون الفضل فى كفالته وتربيته وإيوائه لله وحده ، ليصنع على عين الله ، ويصاغ فى القالب العقلى والفكرى الذى يؤهله لوظيفة خاتم المرسلين ، وأتقى المتقين وأعلم العالمين بالله رب العالمين ، وسيد الداعين ، وأصبر المجاهدين ، وخير أولى العزم من الأنبياء الصادقين ، وأفضل قدوة وأحسنها للمهتدين إلى صراط الله المستقيم .

فهو فى ولادته الأولى : محمد بن عبدالله الهاشمى القرشى العربى : بشر ، ولد كما يولد البشر ، وطعامه وشرابه ومحياه ومماته ككل إنسان (يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) ، وقد قال الله الذى شهد خلق رسول الله وتكوينه ، وخلق السموات والأرض ، وخلق أنفس الناس وكل شىء (قل إنما أنا بشر مثلكم) ، (وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) ، (قل ما كنت بدعاً من الرسل) ، (إنك ميت وإنهم ميتون) ، (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) .

لقد حدث النبى ﷺ - وهو أعلم بنفسه من كل إنسان مهما أوتى من علم - « إنما أنا بشر ، فلعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته فأقضى له » ، « إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد » ، « لاتطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله » .

نعم ، محمد ﷺ بشر فى خلقه ، بشر فى ولادته ، بشر فى طعامه وشرابه ، بشر فى محياه ومماته ، ولكنه لايستطيع عاقل

ـ فضلا عن مسلم ـ أن يفكر أو يجد أنه أعلى أنواع البشرية فى كل خصائصها ومزاياها ، فروحه أطهر الأرواح ، وعقله أكبر العقول ، ونفسه أزكى النفوس ، وفطرته أسلم الفطر ، وتفكيره أوسع أفقاً من كل تفكير وفطنته أنبه الفطن ، ورجولته أكمل رجولة ، وشجاعته أقوى شجاعة ، وقوته أشد قوة ، وقلبه أبر القلوب وأرحمها .

* * *

ولد محمد ﷺ الولادة الثانية الروحية المعنوية ، النبوية العلمية حين أوحى الله إليه بعد انقضاء أربعين سنة من عمره الشريف

فى ليلة القدر من ليالى شهر رمضان المعظم ، بينما محمد ﷺ فى غار حراء يتحنث ـ والتحنث الابتعاد عن المآثم وما يوجب الحنث والعصيان ـ وقد فر من مكة ومجالسها ومجامعها ، ومن أهل مكة ووثنيتهم وجاهليتهم ، وأخلاقهم الفاسدة وسيرتهم المعوجة حيث لا يجد عنده من العلم ما يستطيع أن يرشدهم به ، ولا من الدين الحق ما يقدر أن يرجعهم به عن غيهم وكفرهم ، فلم يجد لنفسه الحائرة ، وقلبه المفعم بالآلام لحال مكة وسكانها وجيرانها الأقربين والأبعدين إلا البعد عنهم حتى لا يرى ما يزيد فى لهيب تلك الآلام فى نفسه ، ويضاعف الهموم والأحزان التى أقضت مضجعه ومنعته لذة العيش فى ذلك الوسط المشترك .

فى ليلة القدر هذه بينما محمد ﷺ فى غار حراء ، غارق فى بحار التفكير فى خلق السموات والأرض وفى قومه والناس جميعاً وضلالهم . وفى نفسه وحيرتها أمام هذه الطرق الملتوية ، والسبل المعوجة المظلمة التى يسلكها الناس إلى ربهم ، وفطرته تأبى له أن يسلك شيئاً من مسالكها ولا ترضى له تلك المسالك ، ويحاول العثور إلى معرفة المسلك القويم والصراط المستقيم ، إذ فجأه الحق فقال : اقرأ . فقال . ما أنا بقارىء ، فإنى أمى لم أتعلم القراءة ولا الكتابة ، وأين من القراءة والكتابة ناشىء قضى كل أوقات الصلاح للتعليم فى رعاية الغنم بين جبال مكة وفى صحراء جزيرة العرب التى يقل فيها النبت والمرعى ؟ فأخذه الملك وضمه إليه ضمة بلغت منه الجهد ، وعصره عصرة كادت روحه تزهق معه .

ثم خلاه . فقال : اقرأ . فقال : ما أنا بقارىء ، لقد أعلمتك أنى لست بقارىء ، وأعلمتك أنى لا أقرأ ، فكيف تأمرنى بعدها بالقراءة ؟

فأخذه وضمه الثانية أشد من الأولى ، ثم خلاه وقال له : اقرأ . فقال : ماذا أقرأ ؟

علمنى الذى أقرأه ، فماذا تريدنى أقرأ ؟

فضمه الثالثة أشد من الأوليين ، ثم خلاه وقال له : (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم) .

فأخذه الدهش لتلك الفجاءة مع تلك العصرات الشديدات البالغات ، فارتجف فؤاده ، ورعدت فرائصه وأسرع الأوبة إلى السيدة الطاهرة البرة الكريمة أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ، وقد كانت تنتظر تلك الساعة بفارغ الصبر ، وتعد الأيام والليالى لها ، لما كانت ترى على زوجها الكريم من شمائل النبوة ، ولما كانت تسمع من ابن عمها ورقة من صفات النبى الخاتم الذى بشر به عيسى بن مريم ، وكانت لا تراها متمثلة إلا فى زوجها الكريم محمد ﷺ .

جاءها وهو على تلك الحال من الدهشة والرجفة ، وقال : « زملونى زملونى » وأخذ يستعرض مفاجأة جبريل بمفتاح الهداية ، ومصباح النور الذى طالما تشوفت إليه نفسه التائهة ، وقلبه الحائر ، وأنه قد آن لنفسه أن تطمئن إلى هداية الله بذلك الوحى والقرآن له وللناس ، وآن لقلبه أن يستريح من حيرته المضنية العنيفة إلى روح الله ونوره يهدى به من يشاء إلى صراط مستقيم .

ثم هدأت نفسه ، واطمأنت إلى قول خديجة رضى الله عنها « كلا لن يخزيك الله بداً » ووقر فى نفسه يقين بأن الذى حمله ذلك الحمل الثقيل هو القوى العزيز ، وأنه لابد ناصره ومعينه بقوته وتوفيقه .

كان ذلك مبدأ الولادة الثانية لمحمد فكان رسول الله ، وخرج من ظلمات الحيرة التى طالما ضاق بها صدره ، ووضع عن كاهله ما كاد ينقضه من هموم التفكير الطويل فى طريق الوصول إلى الله ، والتفكير المضنى فى إنقاذ أولئك المساكين الذين أشقتهم وثنيتهم وجاهليتهم .

البقية تأتى فى العدد القادم إن شاء الله

من أعمال الرسول ﷺ

لفضيلة الأستاذ الشيخ سيد سابق

مدير عام الدعوة بوزارة الأوقاف

إن لرسولنا صلوات الله وسلامه عليه أعمالا كبرى يتمثل فيها نجاحه ، وهذه الأعمال يمكن تلخيصها فيما يلى :

العمل الأول : إنه قضى على الوثنية ، وأحل محلها الإيمان بالله واليوم الآخر .

والعمل الثانى : أنه قضى على رذائل الجاهلية ونقائصها ، وأقام مقامها الفضائل والمكارم والآداب .

العمل الثالث : أنه أقام الدين الحق الذى يصل الإنسان إلى أقصى ما قدر له من كمال .

العمل الرابع : أنه أحدث ثورة كبرى غيرت الأوضاع والعقول والقلوب ونظام الحياة الذى درج عليه أهل الجاهلية .

العمل الخامس : أنه ﷺ وحد الامة العربية ، وأقام دولة كبرى تحت راية القرآن .

هذه هى الأعمال التى تمثل نجاح الرسول ﷺ فى مهمته . وهى كما تبدو كلها أمور كبيرة ، وإقامتها بل إقامة واحد منها من الخطورة بمكان .

وأنه لا يمكن أن يتأتى النجاح لفرد فى بعض هذه الأعمال فضلا عن توفر النجاح فى كل ناحية من هذه النواحى .

إن القيام بهذه الاعمال والنجاح فيها على هذا النحو لهو المعجزة الكبرى لحضرة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه - فإذا كان عيسى له معجزة إحياء الموتى ، وموسى له معجزة العصا ، فإن هاتين المعجزتين فى جانب هذه المعجزات تعتبر شيئاً ضئيلا .

دلائل صدقه :

ومن دلائل الصدق على أن الرسول إنما هو مرسل من عند الله ما يأتى :

أولا : أنه كان زاهداً فى الدنيا ، فلم يكن يطلب على عمله أجراً ، فقد كان زاهداً فى المال ، وفى كل ما هو مادى ، كما كان زاهدا فى الجاه والمنصب .

أما زهده فى المال فإن طبيعة حياته

تدل على ذلك أبلغ دلالة ، فهو لم يفترش الحرير ، ولم يلبس الديباج ، ولم يتزين بالذهب . كان بيته كأبسط بيوت الناس ، وكان يمر عليه الشهران ، ولا يوقد فى بيته نار . قال عروة وهو يسمع خالته عائشة تتحدث بهذا إليه : ياخالتى ما كان يعيشكم؟ قالت : إنما هما الأسودان التمر والماء !

وذات مرة رأى عمر بن الخطاب الرسول نائما على حصير بال ، وقد أثر فى جسمه ، فبكى ، فقال له الرسول ما يبكيك ؟ فقال : مابال كسرى وقيصر ينامان على الديباج والحرير ، وأنت رسول الله يؤثر فى جنبك الحصير ، فقال ﷺ : ياعمر أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة .

ولقد جاءت الغنائم إلى الرسول بعد انتصار المسلمين، فرأى نساؤه أن يستمتعن بشىء من هذه الغنائم وطلبن منه أن يكون لهن نصيب منها ، فإذا بالآية الكريمة ترد على سؤال هؤلاء النسوة :

« يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيما » .

فجمع الرسول نساءه ، وقال لهن : هل تردن الله ورسوله والدار الآخرة ، أم تردن الدنيا وشهواتها ؟ فاختارت كل واحدة منهن الله ورسوله والدار الآخرة فمدحهن الله وأنزل فى حقهن :

« يانساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفاً » .

ولقد توفى رسول الله ودرعه مرهونة عند يهودى ، وقد عاش طول حياته ، وما شبع من خبز الشعير قط .

أما زهده فى الجاه فهو يتمثل فى كل من أحواله .

أراد الصحابة أن يمتدحوه ، ويثنوا عليه ، فقال ﷺ :

« لاتطرونى كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم » .

وجاءه الوليد بن المغيرة مندوبا عن المشركين ، ليفاوضه ، وعرض عليه من كل متع الحياة ، فكان جوابه أن قرأ عليه افتتاحية سورة حم فصلت . إلى قول الله تعالى فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) .

هذا هو الزهد الذى كان طبيعة من طبائع الرسول ﷺ

ومن دلائل نبوته عليه السلام أنه كان أميا ، وأقام هذه الأعمال الكبار وهو أمى لم يقرأ ، ولم يكتب ، ولم يدخل معهداً ، ولم

يتتلمذ على أستاذ ، ولكنه نجح ، وبلغ هذه المرتبة التى لم يبلغها أحد قبله ، ولا أحد بعده .

والقرآن يسجل هذه الحقيقة ليجعلها أمارة صدقه ودليل أمانته يقول الله سبحانه .

(وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) .

وما كان الرسول يعلم شيئاً من النبوة ، ولا مايتصل بالذات العلية ، فجريان هذه الأعمال على يديه إنما هو دليل الإعجاز .

لأن المتعلمين الذين ينقطعون للعلم والبحث ليعجزون أن يصنعوا شيئاً مما فعله الرسول ﷺ .

ولاريب أن هذا تأييد وتوفيق من الله تبارك وتعالى . والقرآن يقول :

« وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون » .

ولقد كان ذلك معروفا لدى خصومه وكان يواجههم به ، ولم يستطع أحد منهم أن يشكك فى هذه الحقيقة السافرة . فيقول الله تعالى :

« وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل مايكون لى أن أبدله من تلقاء نفس إن أتبع إلا مايوحى إلى إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم . قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون » .

أما الناحية الثالثة فهى الصدق ، فلم يعلم عن الرسول ﷺ أنه كذب قط قبل البعثة ولا بعدها ، ولقد جاءه الوحى ، فذهب إلى خديجة ، وقال لها : لقد خشيت على نفسى ، فقالت له . كلا والله لا يخزيك الله أبداً . إنك لتصدق الحديث ، وتصل الرحم وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الدهر » .

ولقد عرض الرسول ﷺ لأول عهده بالنبوة الإسلام على أبى بكر رضى الله عنه ، فصدقه لأول وهلة ، وماتوقف عن المسارعة إلى الإيمان به ، لأنه كان يعلم صدقه وأمانته ، ودخل أعرابى عليه ، فنظر إليه فوجد الصدق يخوطه . فقال : والله ما هذا الوجه بوجه كذاب .

من مفردات القرآن

-٣-

تفسير سورة البقرة

بقلم الأستاذ محمد جميل غازى

- هذه [فصول] فى التفسير ..
- و [نقول] عن تراجمة القرآن ..
- و [محاولة] جديدة لفهم القرآن الكريم على ضوء [اللفظ المفرد] ..

الكتاب - ٢

[ذلك الكتاب لاريب فيه] البقرة / ٢

١٦ - الهدى: قال تعالى: (٢ : ٢ ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين) وهداية الله للإنسان على أربع مراتب :

المرتبة الأولى: إعطاؤه الإنسان القوى التى يهتدى بها إلى مصالحه ؛ إما تسخيراً ، وإما طوعاً ، كالحواس الخمس ، والعقل .

وبعض ذلك قد أعطاه للحيوان ، وبعضه الآخر قد خص به الإنسان ، وعلى ذلك دل قوله تعالى: (٢٠ : ٥٠ ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) ، (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً) .

المرتبة الثانية: هداية الأنبياء ، قال تعالى : (٢١ : ٧٣ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) ، وقال عزوجل: (١٣ : ٧ ولكل قوم هاد) .

وهذه الهداية تنسب تارة إلى الله تعالى: (٤١ : ١٧ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) .

وتارة إلى النبى ﷺ : (١٧ : ٩ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) .

المرتبة الثالثة : التوفيق الذى يختص به الله الصالحين من عباده ، قال تعالى : (٢٢ : ٢٤ وهدوا إلى الطيب من القول ، وهدوا إلى صراط الحميد) ، وقال عزوجل: (٢٩ : ٦٩ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) .

المرتبة الرابعة : الهداية إلى الجنة ، قال الله تعالى : (٧ : ٤٣ ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الانهار ، وقالوا : الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) .

• وهداية الأنبياء : هداية دلالة ، قال تعالى : (٤٢ : ٥٢ وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) فأثبت له الهدى الذى معناه الدلالة والدعوة والتنبيه .

أما هداية الله سبحانه وتعالى فهى هداية توفيق وتأييد ، وقد قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (٢٨ : ٥٦ إنك لا تهدى من من أحببت) فالهدى على هذا يأتى بمعنى خلق الإيمان فى القلب ، ومنه قوله تعالى : (٢ : ٥ أولئك على هدى من ربهم) .

• وهذه المراتب بعضها متوقف على البعض الآخر .

فلا تحدث الثانية إلا إذا حدثت الأولى ولا تحدث الثالثة إلا إذا حدثت الثانية ، ولا تحدث الرابعة إلا إذا حدثت الثالثة .

* * *

١٧ — الصراط المستقيم : قال تعالى : (٦ : ١٥٣ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

• وقد قالوا : إن الصراط المستقيم ، هو : الدين ، أو الحق ، أو العدل أو الحدود

ونقول : إنه كل ما يوصل إلى سعادة الدنيا والآخرة ، ولا شك أن ذلك كله فى القرآن الكريم .

* * *

١٨ — حبل الله ، قال تعالى : (٣ : ١٠٣ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

قال المحققون : حبل الله : هو الذى يمكن معه التوصل به إليه ، من القرآن ، والنبى والعقل والإسلام وغير ذلك مما إذا اعتصمت به أداك إلى جواره .

وقال ابن مسعود : حبل الله القرآن .

• وما قلناه فى حبل الله ، نقوله فى [العروة الوثقى] .

• وقد ورد التعبير بها فى القرآن الكريم مرتين : (٢ : ٢٥٦ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) ؛ (٣١ : ٢٢ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى)

* * *

١٩ — الرحمة : قال تعالى : (١٧ : ٨٢ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) .

• والرحمة : رقة تقتضى الإحسان للمرحوم ، وقد تستعمل تارة فى الرقة المجردة وتارة فى الإحسان المجرد عن الرقة .

• وإذا وصف البارى سبحانه وتعالى بهذه الصفة ؛ فالمراد بها : الإحسان المجرد عن الرقة .

* * *

٢٠ — الروح ؛ قال تعالى: (٤٢ : ٥٢ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) .

• قال الضحاك : وإنما سمى الله القرآن روحاً ، لأن فيه حياة من موت الجهل ، لما فيه من الهداية والعلم .

• ويمكن أن يحمل قوله تعالى (١٧ : ٨٥ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) عن القرآن أيضاً ، أى : ويسألونك من أين لك هذا القرآن ؟ قل : إنه من أمر الله أنزله على معجزاً .

• وكان مالك بن دينار ، يقول: يا أهل القرآن ماذا زرع القرآن فى قلوبكم ؟ فإن القرآن ربيع القلوب ، كما أن الغيث ربيع الأرض .

* * *

٢١ — البيان ، قال تعالى : (٣ : ١٣٨ هذا بيان للناس) .

٢٢ — التبيان ، قال تعالى : (١٦ : ١٨٩ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء) .

٢٣ — المبين ، قال تعالى: (١٢ : ١ تلك آيات الكتاب المبين) .

• وإنما وصف الكتاب بكونه [بياناً] و [تبياناً] و [مبيناً] لوجهين :

الأول : أنه مبين للذين أنزل إليهم ، لأنه نزل بلغتهم ولسانهم .

الثانى : أنه هو الذى أبان طريق الهدى من طريق الضلالة ، وأبان كل باب مما سواه وجعلها مفصلة متباينة .

* * *

٢٤ — البصائر ، قال تعالى: (٧ : ٢٠٣ هذا بصائر من ربكم)

والبصائر — جمع بصيرة — وهى : قوة القلب ، المدركة .

والبصيرة عدة معان : عقيدة القلب ، والمعرفة الثابتة باليقين ، والعبرة ، والشاهد أو الشهيد المثبت للأمر ، والحجة ، والفطنة والقوة التى تدرك بها الحقائق العلمية .

* * *

٢٥ — الفصل . قال تعالى : (٨٦ : ١٣ إنه لقول فصل ، وما هو بالهزل) .

والمفسرين فى هذه الآية أقوال ، منها :

— أن القرآن فاصل بين الحق والباطل ، كما قيل: فرقان . .

— أنه قول فصل ، أى حكم ينفصل به الحق عن الباطل ، ومنه : فصل الخصومات وهو قطعها بالحكم .

— أنه قاطع للمراء والنزاع .

— أنه جد وحق ، لقوله تعالى: (وما هو بالهزل) أى : باللعب ، والمعنى : أن القرآن نزل بالجد ، ولم ينزل باللعب .

* * *

٢٦ — المفصل ، قال تعالى: (٦: ١١٤ وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا) .

والمفصل ، الذى فرقت آياته ، فبعضها فى وصف ذات الله تعالى ، وشرح صفات التنزيه والتقديس وشرح كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته ، وعجائب أحوال خلقه . وبعضها فى أحوال التكاليف المتوجهة نحو القلوب ونحو الجوارح ، وبعضها فى الوعد ، والوعيد ، وللثواب والعقاب ، ودرجات أهل الجنة ، ودركات أهل النار ، وبعضها فى المواعظ والنصائح والوصايا ، وبعضها فى تهذيب الأخلاق ورياضة النفس ، وبعضها فى قصص الأولين ، وتواريخ الماضين .

يقول الرازى : وبالجملة فمن أنصف علم أنه ليس فى يد الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة ، والمباحث المتباينة مثل ما فى القرآن .

ويطلق [المفصل] على جملة من سور القرآن الكريم القصيرة ، وقد اختلف فيها العلماء على أقوال ، منها أنها :

— من الحجرات إلى آخر القرآن

— أو من الجاثية

— أو من القتال

— أو من ق

— أو من الصافات

— أو من الصف

— أو من الملك

— أو من الفتح

— أو من الأعلى

— أو من الضحى

وسمى هذا الجزء من القرآن منفصلا لكثرة الفصول بين سوره ، أو لقلة المنسوخ فيه .

ويسمى المحكم أيضاً ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : قرأت المحكم على عهد رسول الله ﷺ وأنا ابن اثنتى عشرة سنة .

قال الزمخشرى فى الفائق: يعنى: المفصل سمى محكماً لأنه لم ينسخ منه شىء .

٢٧ — المثانى ، قال تعالى : (٣٩ : ٢٣ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) .

وقد ورد هذا الإسم فى القرآن الكريم مرتين :

الأولى : فى سورة الحجر : (١٥ : ٨٧ ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم)

والثانية فى سورة الزمر : (٣٩ : ٢٣ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى)

والمقصود بالسبع المثانى فى آية الحجر [الفاتحة] لما خرجه الترمذى من حديث أبى هريرة ، قال : قال رسول ﷺ « الحمد لله أم القرآن ، وأم الكتاب ، والسبع المثانى » قال : هذا حديث حسن صحيح .

والمثانى — فى آية الزمر — المقصود به [القرآن الكريم] ، لأنه يثنى فى التلاوة فلا يمل ، أو لاقتران آية الرحمة بآية العذاب ، أو لأن فيه ثناء على الله سبحانه وتعالى .

* * *

٢٨ — النعمة ، قال تعالى : (٩٣ : ١١ وأما بنعمة ربك فحدث)

روى ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله تعالى : (وأما بنعمة ربك فحدث) قال : القرآن ، لأن القرآن أعظم ما أنعم الله به عليه ﷺ ، والتحديث به أن يقرأه ويقرئه غيره ويبين حقائقه لهم .

٢٩ — البرهان ، قال تعالى : (٤ : ١٧٤ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم)

والبرهان : أبين الحجج ، وأوكد الأدلة وهو الذى يقتضى الصدق أبداً لا محالة .

وقد جاء البرهان فى القرآن الكريم على ثلاثة أنحاء :

الاول : بمعنى المعجزة : (٢٨ : ٣٢ فذانك برهانان من ربك)

الثانى : بمعنى الدليل . (٢ : ١١١ ، ٢١ : ٢٤ ، ٢٧ : ٦٤ ، ٢٨ . ٧٥ قل هاتوا برهانكم)

الثالث : بمعنى القرآن : (٤ : ١٧٤ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم)

* * *

٣٠ — القيم ، قال تعالى : (١٨ : ٢ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، قيما)

وقوله تعالى : (قيما)

— أى : [قيما] بمصالح العباد ، وما لابد لهم منه من الشرائع ، فهو وصف له بأنه مكمل لهم ، بعد وصفه بأنه كامل فى نفسه

— أو : [قيما] على الكتب السالفة ، ومهيمنا عليها .

— أو : متناهيا فى الاستقامة والاعتدال فيكون تأكيداً لما دل عليه نفى العوج .

— أو : قواماً على شئون الدين وضابطاً لها .

[وللبحث صلة]

ميلاد الرسول ﷺ
ودروس فى السياسة والحرب

الدكتور: إبراهيم هلال

كان ميلاد الرسول ﷺ إيذاناً، باستواء العقلية الإنسانية ووصولها إلى كامل نضجها، وإدراكها أسلوب الحياة وواقع الناس، وأن الحياة كما هى محتاجة إلى السلم، فهى أيضاً محتاجة إلى الحرب، بل قد تكون الحرب فى كثير من الأحيان هى الوسيلة الوحيدة إلى السلام.

وقد أدركنا واقعية هذا المبدأ من حياة الرسول ﷺ وجهاده للشرك والمشركين. فسلوكه ﷺ أسلوب السلام والتحمل والصبر على الأذى هو وأصحابه فى مكة ثلاثة عشر عاماً، لم يغير من واقع الحياة فى الجزيرة العربية شيئاً، ولم يصل بأسلوب السلم والمسالمة إلى إنهاء الحروب التى طالت فى الجزيرة العربية مئات السنين، وغطت على حياة كل فرد فيها، وتبديلها بحياة السلام والأمن. وكان الأمر سيستمر على ذلك، وكانت هذه الحياة الحربية الطاحنة، وذلك الأمن المروع سيستمران، لولا شرع الله للقتال، وأذن الله لرسوله أن يرد هو وأصحابه على الشر بالشر، وعلى الحرب الشيمة التى لا ترعوى، ونزول هذه الآية الكريمة مخططة لحياة البشر والناس: (أذن للذين يقاتلون، بأنهم ظلموا، وإن الله على نصرهم لقدير).

فقد هاجر الرسول ﷺ هو وأصحابه من مكة إلى المدينة لغرس الدعوة فى أرض أكثر خصباً وبين أناس هم أهل لحياطتها وصيانتها وتعهدها بالمحافظة عليها حتى يستوى عودها، وتتفرع شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، ويستظل بظلها الأحمر والأبيض والعرب والعجم. ولكن مشركى مكة لم يتركوا الرسول ﷺ فى هذا المنبت الجديد، ولا دار الغربة، بل لاحقوهم بالأذى إلى هناك، فكان من الضرورى بعد هذا الشر المستطير، أن يأتى قوله تعالى: (أذن للذين

يقاتلون بأنهم ظلموا) ـ مسجلا على البشرية أنها لا استقامة لحياتها إلا بالحرب ، ولا إحلال للسلم فى دنياها إلا بسلوك طريق الحرب والجهاد . والقرآن الكريم يبين وجاهة هذا المبدأ حين يقدم لنا صورة الرسول وصحبه كمهاجرين معتدى عليهم ، بعد تقديم تشريع الحرب والإذن به فيقول : (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله). فليس هناك من موقف لهؤلاء الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ، ولجوئهم إلى مقر أنأى من مقر الاضطهاد والمحاربة ، ثم تعقبهم فى مقرهم هذا الجديد ، إلا أن يلقوا الشر بالشر ، وإلا أن يعاملوا من وقفوا منهم هذا الموقف بالأسلوب الذى يليق بهم ، فكانت شرعة الحرب صيانة ، ودفاع ، ودواء كما قال أمير الشعراء أحمد شوقى مشيراً إلى ذلك ومادحا الرسول ﷺ بهذا على أنه صاحب مبدأ واقعى منتج للحياة والناس :

والحرب فى حق لديك شريعة
ومن السموم الناقعات دواء
والشر إن تلقه بالخير ضقت به ذرعا
وإن تلقه بالشر ينحسم

إذن كان لابد من سلوك القتال للوصول إلى السلام ، فكانت الغزوات ، وكانت السرايا التى قام بها الرسول وأصحابه كأناس علمهم القرآن شرعة الحياة وبصرهم بأمور الدنيا وواقعها ، فكان بعد ذلك ، الإسلام الذى ملأ الجزيرة العربية وفاض عنها إلى الأقاليم المجاورة ، ورأينا ، هذا الواقع الحى يصدق قوله تعالى : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين) فالطباع الشيمة ، وأعداء الحياة ، لابد للارض لكى تنجو من شرهم ، من أن تعلنها حرباً عليهم ، وتستعد لهم بتلك الحرب على الدوام ولذلك جاء قوله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم . . .) وجيهاً غاية الوجاهة ، وقولا فصلا ، حين تضطرب الأقوال ، وتختلط الآراء وتلتوى .

ودنيانا اليوم يا معشر المسلمين — فى مشارق الأرض ومغاربها — تؤكد لنا واقعية هذا الأسلوب القرآنى ؛ وتؤكد إعجاز شريعة محمد ﷺ بهذا الصدد وتفوقها فى هذا الباب [باب الحرب والسياسية] ـ كتفوقها فى بقية الأبواب الأخرى .

فأعداؤنا ، يلتوون ولا يرحمون ، وهم لدمائنا شرهون ولأموالنا وأرضنا يطلبون وينهبون ، وهم قد اقتنصونا فى فترة ضعف ،

فانقضوا علينا انقضاض القشام على أموال الأيتام لا يرحمون فينا ضعفاً ، ولا يحرك فيهم جهلنا ، وفرضنا وفقرنا ، إلا شهوة الافتراس ، ونهب الخيرات ، وتحويل خامات بلادنا ونفائسها ومعادنها إلى بلادهم كي تعمر وتنمو ، وتزدهر غنى وترفا وإصلاح حال ، فلولا ذلك النهب القديم ، والذي يريد أن يستمر في هذا العصر ، ما قامت حضارتهم التي يهددوننا بها اليوم ، ولا ملكوا من أسباب القوة ، ومن أنواع السلاح الآن ما يملكون ، فلولا نهب المستعمرات ما قامت لدول الاستعمار قيامة ، ولا ارتفعت لهم راية على رايتنا .

ورغم بدء الأمة الإسلامية في الأخذ بأسباب اليقظة ، وأسباب القوة ، إلا أن هؤلاء القراصنة ، يريدون أن يقضوا على هذه اليقظة ويحولوا بيننا وبين القوة بشتى الأساليب ، كي يدوم لهم ما ألفوه وما استمرؤوه من سلب ونهب . وقيام دولة أو عصابة لإسرائيل في قلب الوطن العربي ، هي أحد هذه الأساليب ، بل أكبرها وأشدها خطراً ، فإن الأمر لا يقتصر بهم على سلب أرض فلسطين من أهلها ، ولا يقف عند هذا الحد ، بل هو تمكين للاستعمار لاستمرار نفوذه ، ومواصلة نهبه لبلاد الشرق ، وخيرات بلاد الشرق بوسيلة تضمن له بقاء هذا النهب والافتراس . وقد جرأه على هذه الوسيلة ما رآه من سكوتنا عليه أول عهده بحياة التلصص والقرصنة ، فبعد أن كان الأمر أمر إنتاج وثمرات الأرض ، إلا أنه بالسكوت عليه تطور إلى نهب الأرض نفسها ، واغتصابها . حصل هذا في فلسطين في آسيا ، وحصل أيضاً في روديسيا في أفريقيا .

فهذا هو الاستعمار ، الذي سمى نفسه بهذا الاسم من باب الخداع لنا في مبدأ الأمر ، ومن باب تستره في ارتكاب تخريبه لبلادنا تحت ستار هذه الكلمة التي تحمل معنى التعمير .

واليوم نقف في سبيل حل قضيتنا ، موقف المسالمين أمام هؤلاء الأوغاد القشام ، مقدمين خطة السلم والسلام أولا ، ولكني أقول إن هذه الأصناف قد دلنا القرآن عليهم ، ودلنا تشريع الرسول ﷺ وسياسته معهم ، على أن نبدأهم كأعداء بخطة الحرب أولا ، ما داموا هم الذين بدأوا بالعدوان ، فاحتلوا البلاد ، واعتدوا على الحرمات . أمام هذا الموقف لا يغفر الإسلام لأبنائه أبداً ، أن يبدأوا بخطة السلم ، ويطيلوا الصبر والانتظار على نتائج هذه الخطة . إنها خطة

مراوغة وتضييع للوقت أمامنا حتى تتغير منا الأوضاع أملا فى أن تتاح لهم الفرص بعد ذلك ، كى يتمكنوا أكثر وأكثر على أن هذا الصبر والانتظار منا ، ورضاءنا بتقديم خطة السلم قبل خطة الحرب غير مرض لحكومة هؤلاء المغتصبين ، ولا لأحزابهم ولا لمعاونيهم من سادتهم ورجال دينهم . إنهم ينفرون من مجرد مفاوضاتنا لأخذ حقنا ، ويثورون على محادثاتنا السلمية لاسترداد أرضنا !!

طلعت علينا جريدة الأهرام فى عددها الصادر فى يوم الأربعاء السادس من ربيع الاول سنة ١٣٩٥ . بأن « مائير كاهان » الحاخام اليهودى الأمريكى مع ستة من أعضاء رابطة اليهودية اقتحم مبنى القنصلية الإسرائيلية فى نيويورك للاحتجاج على المفاوضات التى يجريها هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكية فى الشرق الأوسط » !!!!

أفبعد هذا لوم فى الطباع وشراسة فى فى النفوس ، ومظهر للهمجية والفوضى والقرصنة ، فى بلد يدعى أنه فى أعلى القمة من حضارة القرن العشرين !!

أيها المسلمون ، لا تغرنكم هذه الحضارة ، ولا يخدعنكم عن أنفسكم وعن حقوقكم أن يتحدث عن القرن العشرين بأنه عصر الحضارة والمدنية والتنور ، إن هذا كلام المزيفين ، وكلام الذين لا يفهمون معنى الحضارة والمدنية والتنور . إن معنى هذه الأشياء ، أن يسود عنصر الأخلاق ، وأن يلتزم الأقوياء بالقيم ، وأن يعملوا بما جاءت به الأديان ، فالحضارة ، هى التدين ، وهى سمة الناس بالأخلاق إن لم تسمهم بالأموال كما قال الرسول ﷺ إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فسعوهم بأخلاقكم » . هنا تكمن الحضارة ، وهنا يكمن التمدين .

أما زعماء حضارة القرن العشرين ودعاتها على هذا المظهر من الهمجية والتلصص ، فهم دعاة بدائية ، وزعماء غابات ، لا أصحاب حضارات . ومن هنا فخطة الحرب هى التى يجب أن نبدأ بها مع هؤلاء ، ثم تأتى خطة السلم ، حين يروا أننا لا محالة غالبون ، وواصلون إلى حقوقنا ، أنه ومن الخير لهم أن نصل إلى حقوقنا معهم ، واستردادها منهم بالصلح بعد توقف الحرب كما خطط بذلك القرآن الكريم الذى جاء من عند بارىء النفوس وعرف ما هى ، وما الذى يفيد معها فقدم الحرب أولا : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل...)

ثم أجاز الصلح بعد ذلك حين يرى الأعداء أن هذا من مصلحتهم ويطلبوه جادين : (وإن جنحوا للسلم ، فاجنح لها وتوكل على الله) وهذا هو منطق البدو المخالف فى الدين دائماً ، لا يقنعه منا إلا القوة . فلنرصد كل ما نستطيع من أموال — وأموالنا وأرضنا كثيرة وغنية والحمد لله — فى سبيل الحرب ، ولنطور أسلحتنا ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، فكل ذلك غنم ومكسب ، فالحروب لا تخيف ، ولا تنقص للميزانية ، ولا تعود بالشر والخراب إلا على الظالمين . أما الذين يحاربون لاسترداد حقوقهم ، وللدفاع عن أنفسهم ودينهم ، فالنصر دائماً فى ركابهم . ورسول الله ﷺ حينما سار على هذا المبدأ ، فإن الأمة الإسلامية كانت تخرج من نصر إلى نصر ، ومن غنم إلى غنم ، وزيادة فى الأموال والأنفس والثمرات . وأعداؤهم يخرجون بالذل والقهر ، وخسارة الأموال ، والنقص فى الأنفس والثمرات . وكل غزواته ﷺ وسراياه ومعاهداته عند تحليلها تنطق بذلك ، وهكذا تصدق القاعدة ، بأن المنتصر دائماً غالب وقليل من جنده هم الذين يقتلون ، والأمر بالعكس عند الطرف المغلوب .

فخطة الآية هى خطة الحزم وهى خطة الدين

وهذا ما وجدناه أيضاً فى حياة الدولة الإسلامية من بعده ﷺ ؛ لا تزيدها الحروب إلا صقلا ، ولا يزيدها الجهاد فى سبيل الله إلا خيراً وقوة على قوة ، وهكذا كانت قوتها والحرب قرينان ظلت تتسع أملاكها ، وتمتد حدودها ، وتقوى هيبتها ويشتد بأسها ، وتزداد غنى وقوة طيلة أخذها بدروس رسول الله ﷺ فى السياسة والحرب وتمسكها بتشريع القرآن الكريم فى تقديم خطة الحرب على خطة السلم ، ولكن حينما عكست المبدأ وقدمت السلم على الحرب ، لم تستطع أن تحتفظ لنفسها بسلم ولا حرب وذابت قوتها ، وضعفت هيبتها ، وتمكن منها العدو واستهازجها . ألا فلنفطن لذلك ولنعرف أن عدونا لن يقدر منا خطة الصلح إلا إذا عرف أن وراءها حرباً ضروساً تأكله وتفنيه . فالأمر كما قال القرآن الكريم (واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) وكما قال أيضا (كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم ، وأنتم لا تعلمون) .

٢ – ما هذا الكتاب . . ؟

بقلم الأستاذ الدكتور أمين رضا
أستاذ جراحة العظام والتقويم بكلية طب جامعة الإسكندرية

تجنب المنهج العلمى :

يوحى عنوان الكتاب وتوحى مقدمته كذلك بأن المؤلف فرض على نفسه منهجاً علمياً لتحقيق وجود الإسرائيليات فى أحاديث البخارى وهذا المنهج يفرض عليه

١ – أن يعرف ماذا يقصد بكلمة « إسرائيليات » ، وهذا لم يرد فى الكتاب

٢ – أن يحدد طريقته فى الكشف عنها وهذا لم يرد فى الكتاب .

أما أن يتهم حديثاً من الأحاديث بأن فيه « الإسرائيليات » ، وأن يكون هذا الاتهام مبنياً على الظن أو الرأى المجرد من البرهان . ثم أن يبنى على ذلك استنتاجاً يعتبره حقيقة فهذا شىء لا يقبل فى أى بحث علمى نظرياً كان أو عملياً ، والأحاديث المائة والعشرون المذكورة فى الجزء الثانى من الكتاب « على سبيل المثال لا على سبيل الحصر » ، (وهذه الجملة يكررها المؤلف فى كتابه بمناسبة وغير مناسبة) ، ولم يورد المؤلف فى أى واحد منها ما هى العلاقة العلمية بينها وبين ما يسميه « إسرائيليات » .

النقل الحرفى من كتاب سابق

ولع المؤلف بالنقل من كتاب آخر هو « أضواء على السنة المحمدية » وهو أيضاً كتاب اجتهد صاحبه فى جمع كل ما كتب فى ذم الحديث . فخرج كتاباً هزيلا قزماً بجانب المادة التى لا حصر لها عن تصويب الأحاديث وتصحيحها والاحتجاج بها .

وإن كان كتاب « الأضواء » الأول بهذا الوهن وهو المنبع الذى نهل منه مؤلف كتاب « الأضواء » الثانى فالثانى أوهن ، ولكن البادى أظلم . والثانى منقاد ، والقائد أكثر مسؤولية . والثانى سار فى الطريق الذى فتحه له رائده . ولكن من ضل الطريق وعاد من منتصفه خير ممن أصر على السير إلى النهاية (النساء ٤/١٧ إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب

فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما).

العرض على القرآن

ادعى المؤلف أنه سيقوم باكتشاف الإسرائيليات فى أحاديث البخارى عن طريق عرضه على آيات القرآن الكريم . إلا أننا رأيناه يورد مائة وعشرين حديثاً من البخارى «على سبيل المثال لا على سبيل الحصر» ، ويعقب عليها من كلامه وآرائه فقط . وفى كثير منها لا يوجد فى التعقيب آية قرآنية واحدة . وفى بعضها يوجد شىء من القرآن لا يكذب الحديث ولا يثبت أنه من « الإسرائيليات »، وعلى ذلك فإن جميع هذه التعقيبات ينقصها العنصر العلمى . والمنهج المحقق . بل إن القارىء يضيع وقته ويفقد جهده فى محاولة فهم ماذا يقصد المؤلف من تكذيبه لهذه الأحاديث .

أحاديث النبى عن كتابة الحديث

لماذا تمسك المؤلف بأحاديث النبى عن كتابة الحديث ؟ مع أن هذه الأحاديث نفسها مكتوبة . وكان من الأولى قياساً على ما ارتضاه لنفسه أن تكون هذه الأحاديث مكذوبة ومدسوسة . فكيف تنهى عن الكتابة وتكتب ؟

أليس هذا تناقضا ؟

الاعتراف بالسنة العملية

كيف يعترف المؤلف «بالسنة العملية» صفحة ١٢ - الدافع التاسع) مع أنها هى أيضاً نقلت إلينا بنفس الطرق التى انتقلت بها السنة المروية . وهذا تناقض ظاهر. هل هو يعتقد أن السنة العملية نقلت إلينا بطريقة أخرى غير طريق الرواية ؟ بتسجيل سينمائى أو تلفزيونى مثلا ؟ أم أنه يكفر ببعض أجزاء من كتب الحديث ويؤمن بالبعض الآخر ، بغض النظر عن عدالة رواتها . وبغض النظر عن عدم ذكرها فى القرآن . مثل عدد الصلوات وعدد الركعات وعدد السجدات ، وتفصيل الزكاة والديات وغير ذلك من السنن العملية المروية فى الحديث والغير مفصلة فى آيات القرآن الكريم .

تساؤلات . ؟

وقد راعنى فى هذا الكتاب أن مؤلفه رسم لنفسه طريقاً لفضح الإسرائيليات المدسوسة على حديث الرسول ﷺ ولم يبين ماهى هذه الإسرائيليات .

وأنه رسم لنفسه أن يقصر كلامه على أحاديث الإسرائيليات فى البخارى فشكك فى الكتاب بأسره .

ورسم لنفسه أن يبحث فى كتاب البخارى فقط ، فبحث فى جميع كتب الحديث

[الصحيح منها وغير الصحيح، المسند وغير المسند].

ورسم لنفسه دراسة ناحية خاصة من أحاديث كتاب واحد من كتب الحديث، فتعدى بكلامه على الكتاب بأكمله، بل على كل الكتب الأخرى، بل اعتدى على قضية الحديث بأجمعه.

ورسم لنفسه أن يكذب مايكذبه. بحجج من القرآن ولم يفعل. وشكك فى أحاديث الرسول ككل، ولكنه استرشد ببعضها لأنها تخدم نظرية التكذيب. فكيف يمكنه تكذيب شيء بما يعتقد هو أنه مكذوب أو فى أقل تقدير أنه مشكوك فيه؟.

هل هذا بحث علمى؟

هل هو حقاً يخدم بذلك قضية الحديث؟

هل حقاً كان هذا المؤلف يرمى إلى البحث فى القضية التى حددها فى عنوان كتابه؟.

إذاً فلماذا تعداها إلى غيرها ولم يوفق إلى بحثها هى نفسها؟

هل حقاً كانت الإسرائيليات هى قصده أم الحديث كله كمجموعة واحدة؟

أليس من حقنا أن نتساءل؟

بحثت لأعرف إن كان المؤلف مسلماً. فعرفت أنه يحمل إسماً من أسماء المسلمين.

وبحثت لأعرف إن كان المؤلف مستشرقاً ولكننى علمت أنه شرقى لا مستشرق.

إذاً فما هو؟ ومن هو؟

إن كان حقاً يرمى إلى البحث العلمى، فليخرج إلينا بحثاً علمياً كما يجب.

وإن كان حقاً يرمى إلى تأليف كتاب إسلامى فليخرج إلينا كتاباً إسلامياً ينبع أولا من كتاب الله سبحانه وتعالى. وثانياً من سنة رسول الله ﷺ. فلا يوجد دين سماوى لا رسول له. ولا إسلام من غير محمد رسول الله ﷺ.

ونتوجه إلى الله السميع العليم أن يهدى هذا المؤلف إلى الصواب، وأن يؤتينا جميعاً فى الدنيا حسنة، وفى الآخرة حسنة ويدخلنا فى رحمته ويجنبنا نقمته.

كما بدأتم تعودون..

للأستاذ على عبد العظيم

معظم الناس يؤمنون بالله لأن الإيمان فطرة طبيعية فى النفس البشرية ، قد تتوارى وراء الشكوك والأوهام . ولكنها تظهر قوية واضحة عند الشدائد قال تعالى: « وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون » ، وقال سبحانه (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه ، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا. أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا. أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) حتى فرعون حينما « أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) .

وقد نبهنا الرسول ﷺ إلى أن نعرف الله فى وقت اليسر فيعرفنا عند العسر قال ﷺ «اعرف الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة»

أما الإيمان باليوم الآخر فإن أكثر الماديين ينكرونه ، وإن كان بعضهم يؤمن بالله إيمانا مبهما ، وقد تحدث إلى أستاذ جامعى مشهور فقال: إنه يؤمن بالله لأنه يلمس آثاره فى نفسه وفى جميع العوالم المحيطة به. أما البعث والنشور فهو - منهما - فى شك مريب ، لأن عقله لا يتصور أن تعود الحياة إلى جثة بالية أكلها التراب . وقد رأيت من الخير أن أوجز الرد عليه فى هذا المقال :

أولا : أن العقل البشرى محدود فى نطاق الزمان والمكان والتجارب الحسية، فلا يصلح أساساً لاقتحام عالم الغيب . فلو قال قائل منذ قرنين : إننا سنصل إلى القمر ونفتت الذرة ونرى ونسمع عن طريق شىء اسمه الأشعة اللاسلكية عبر آلاف الأميال لبادر العقل بتكذيبه ، وإلى هذا تشير الآية الكريمة «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله، كذلك كذب الذين من قبلهم »

ثانياً : إن الإيمان بالله وحكمته وقدرته وعدالته تقتضى الإيمان باليوم الآخر لأنه سبحانه لا يعبث ولا يلهو « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون » ، « أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ، أليس

ذلك بقادر على أن يحيي الموتى » ؟

إننا لو شاهدنا مهندساً قديراً يبني ثم يهدم ما بناه ، ويعمر ثم يخرب ما عمره ويبرم ثم ينقض ما أبرمه لحكمنا عليه بالجنون ، فكيف يتصور عاقل أن إلهاً حكيماً قادراً عليماً خلقنا ليدمرنا وأوجدنا ليمحونا من الوجود ؟ قال تعالى : « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين » وقال سبحانه « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا. ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ».

ثالثا : إننا مخلوقون من التراب كما أنبأنا الله وكما أثبت العلم الحديث ، فلو أخذنا بشراً سوياً ، وحللناه في المعمل الكيماوي لوجدناه مكوناً من ثمانية عشر عنصراً تقريبا من مادة الأرض من كربون وفسفور وكلسيوم... وقد أخذ الله هذه القبضة من التراب فخلقها وسواها ونفخ فيها من روحه فإذا هي بشر سوي عاقل مفكر ، فإذا أعادها إلى التراب فلن يعجزه أن يعيدها مرة ثانية إلى الحياة قال تعالى: « ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ».

رابعاً : أن الصانع الذي اخترع آلة معينة يسهل أن يعيد صناعتها بإتقان، والله الذي فطرنا أول مرة قادر على أن يعيد خلقنا مرة ثانية ، وإن التشبيه مع الفارق لأنه لاشيء يوصف بالصعوبة أو السهولة أمام قدرة الله قال تعالى : « وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » وقال سبحانه « وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » وقال سبحانه: « قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة »

خامساً : إننا نشاهد في كل يوم عالم النبات . فتزى الأرض الجامدة اليابسة يمسها الماء وتسقط فيها البذور الخامدة فإذا خلايا البذور تستيقظ وتتكاثر، وتتخصص فبعضها يكون الجذور ، وبعضها يكون السيقان ، وبعضها الأوراق ، وبعضها الأزهار . وتختص عناصر التراب فتحولها إلى خلايا نباتية حية يأكلها الإنسان والحيوان « إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير » قال تعالى: « وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير، وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ».

سادساً: من سنن الله الكونية التعاقب الذي نشاهده في أنفسنا وفي كل ما يحيط بنا، فهو سبحانه يولج الليل في النهار ويولج

النهار فى الليل ، ويخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ، ويحيى الأرض بعد موتها كذلك النشور » . وكما يتضح التعاقب بين الليل والنهار والنوم واليقظة ، والصحة والمرض والراحة والتعب ، تتعاقب الحياة والموت قال تعالى : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ، ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون »

سابعاً : أنبأنا الله سبحانه أنه سيكشف لنا من آياته البينات مايردنا إلى الإيمان بالله وقدرته وحكمته قال تعالى : « وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها » وقال سبحانه « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

وقد أطلعنا الله سبحانه على بعض آياته العلمية فى تكوين الجسم البشرى فإن الإنسان مكون من ملايين الملايين من الخلايا الحية ، وكل منها يتغذى وينمو ويتكاثر ويموت وينبعث غيره مكانه . فلا تمر دقيقة من حياة الإنسان حتى يموت فيه عشرات الآلاف من الخلايا الحية وينبعث مكان كل منها خلية طبق الأصل من الخلية الميتة ، فهى عملية بعث دائبة مستمرة فى كل منا . ويقدر الباحثون أن الإنسان تفنى جميع خلايا جسمه وتتجدد كاملة كل بضع سنين ، ومن هنا نرى عملية البعث والنشور قائمة فى كل منا متجددة طوال الحياة .

ثامناً : من الظواهر العلمية التى كشفها الله لنا فى الآفاق ماتعيننا على فهم البعث والنشور وهى ظاهرة الإرسال التليفزيونى ، فإن الإنسان يقف أمام آلات التصوير فتلتقط صورته وحركاته وسكناته وصوته ، ثم تتحول صورته وصوته إلى موجات تنبث فى الآفاق وتنتشر عن طريق الأقمار الصناعية إلى آلاف الأميال ، ويجلس المشاهد فى بيته أمام آلة اخترعها الإنسان وقد أغلق عليه أبواب بيته ونوافذه ، وبوساطة هذه الآلة يستطيع أن يلتقط الصوت والصورة ويشاهد الأحداث التى تحولت من الأشعة إلى أصوات وصور . فإذا كانت آلة التليفزيون استطاعت أن تحول الصور إلى أشعة وتعيد الأشعة إلى صورة بعد أن تبددت فى الآفاق أليست القدرة الإلهية العظمى التى حولت التراب إلى إنسان؟ قادرة على أن تعيد تحويله مرة ثانية من التراب إلى الإنسان «أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ، أليس الله بقادر على أن يحيى الموتى »؟

(يتبع)

تعقيب ورأي

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد هاشم الهدية
رئيس جماعة أنصار السنة بالسودان

على زيارة الأستاذ محمد جميل غازى للسودان

ومحاضراته هناك

زار السودان فى أول شهر رمضان المبارك الداعية الإسلامية النشط الأستاذ محمد جميل غازى فعمر لياليه بدروسه المفيدة التى تقوم على القرآن وبيانه من السنة المطهرة فكان ازدحام الجماهير فى أى ساحة يعلن فيها درس الأستاذ، كان الازدحام كبيراً وكل مستطيع منهم يقدم مسجله على آلة تكبير الصوت حتى يستمتع بدرس الأستاذ طول العام حتى يلقاه فى العام المقبل كما هو مرجو بإذن الله، وجميل من الأستاذ جميل هذه الزيارات المفيدة، وجميل من الأستاذ جميل استجابته لطلب أى جماعة ترغب فى أن يكون الدرس بمسجدها أو بناديها مهما كانت بعيدة أو قريبة، وجميع من يستمع إلى الأستاذ جميل يتمنى أن لا ينقطع الدرس طول العام، فكل شخص يخرج من درس الأستاذ بفائدة ملموسة وأن نصائحه التى قدمها لنا يوم عقد مؤتمرنا الذى حضره مندوبون من كثير من جالياتنا الفرعية مقدرة، وسوف نسعى جهدنا للأخذ بها إن شاء الله

وهناك رأى أبداه لى فيه ملاحظة شخصية لم أستشر فيها أحداً من إخوانى ولا أشار إلى بها شخص وهى ماذكره من أن جماعتنا تعمل لتربية الفرد العادى فى العقيدة وغيرها من قواعد الإسلام ولا تعمل للحكم بالشريعة الإسلامية مثل ما تعمل جماعة حددها ورأى أنها تعمل للاصلاح من فوق ونحن نعمل من تحت ويرى أن عمل هذه الجماعة من فوق عمل لاجدوى منه لأنه لا يصلح حكم الإسلام فى أقوام بعيدين عن العقيدة وعن الأخلاق الإسلامية. لعل هذا ملخص مافهمته من كلامه ومارددده بعض إخواننا وإنى أجد أن هذا الرأى فيه خطورة كبيرة على جماعة أنصار السنة المحمدية التى أخذت على عاتقها تصحيح مفهوم الدين فى نفوس المسلمين والعمل على أن يكون المجتمع مجتمعاً إسلامياً نظيفا يطبق حديث الرسول ﷺ الذى يقول فيه «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

على عاتقها تصحيح مفهوم الدين فى نفوس المسلمين والعمل على أن يكون المجتمع مجتمعا إسلاميا نظيفا يطبق حديث الرسول ﷺ الذى يقول فيه «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فقلبه وذلك أضعف الإيمان».

وبالطبع لا يمكن إزالة المنكر باليد إلا بيد السلطان الذى يحكم بالشريعة الإسلامية، واللسان وظيفة العالم وقد ثبت بالدليل القاطع أن الموعظة بالقرآن والسنة فى مجتمع يبيح جميع المحرمات موعظة فاشلة مقضى عليها فى أوساط الشيوخ فضلا عن أوساط الشباب.

أما إن كان السلطان قائما على أساس الشريعة الإسلامية يكون إصلاح المجتمع سهلا وسريعا مهما كان فاسداً وهناك أمثلة واضحة للعيان فقد فتح رسول الله ﷺ مكة ومايزال سكانها على عبادة الأوثان ومجتمعهم مجتمع جاهلى لايعرف معروفا ولاينكر منكراً، فأحال هذا المجتمع بقوة السلطان من مجتمع جاهلى إلى مجتمع إسلامى من أول يوم دخل فيه مكة المكرمة ثم جميع فتوحات الإسلام فى جميع عصورها أصلح البلاد التى تم فتحها بفرض الشريعة السمحة فى جميع دوائر السلطة فاختفت جميع مظاهر الفساد وقام مكانها مظاهر الصدق والأمانة والعفة والكرامة وحسن المعاملة هذا فى الصدر الأول.

ولعل موقف أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الذى أحال مجتمعا فاسداً قائماً على هضم الضعيف إلى مجتمع انعدم فيه من يستحق الصدقة فى خلال ثلاثين شهراً هى كل مدة حكمه.

ومن قبله فتح جميع شمال أفريقيا على عهد أمير المؤمنين معاوية رضى الله عنه فاستقام أمرها فى الحال لأن الفاتح كان مسلماً لايرضى بشريعة الإسلام بديلا فى الحكم.

ثم لا ننسى شجاعة العلماء فى عهد الأمراء الذين استهوتهم الدنيا بزخرفها فلم يبالوا بهم وبيطشهم بل أصدعوهم كلمة الحق فانصاع لها الصالحون منهم.

فهذا قاضى الجماعة بالأندلس منذر ابن سعيد يتفقد الخليفة الأندلسى فى صلاة الجمعة فلايجده لأنه كان مشغولا ببناء قصر من قصوره فينوه عنه فى الخطبة مستشهداً بالآية الكريمة «أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين» ولم يسع الخليفة إلا أن يحضر للصلاة، ويشهد الجماعة، ويشير إليه ابنه فى هزل منذر بن سعيد عن القضاء فيرده ويقول له ويحك يابنى أمثل ابن سعيد يعزل لارضاء نفس ناكبة عن الرشد؟

الدعوات الصالحة تفرض على من عارضوها حتى تألفها نفوسهم بعد أن تجد حقيقتها وصلاحها وبالجملة إننا نرى أن الدعوة التي جندنا أنفسنا لها تعمل لإصلاح الفرد والسعي الحثيث لتكون الشريعة الإسلامية هي الحاكمة في المجتمع وتزاحم الحكام من مواطنينا بكل الوسائل حتى إذا عجزنا أن نشاركهم في السلطة على الأقل نسمعهم كلمة الحق في أن حكم الإسلام هو صمام الأمان لاستقرار الحكم وطمأنينة على الناس أنفسهم وأموالهم لذا نرى أن جماعتنا من أول واجباتها أن لا تستهين بعمل أي جماعة مهما خالفتها في أسلوبها فتعترف بالحق وتستهجن غيره فإن كل مجموعة لا تخلو من خير فلا نبغضها ونحاربها لبعض الشر فيها وأن الداعية إن لم يكن حكيما تطمئن إليه الجماعات المخالفة له ففي من يدعو ؟

هذا ما أردت توضيحه ولا أقصد إلا الخير والله الهادي إلى أقوم سبيل ؟

تحفظات

● قرأت كلمة الأستاذ الداعية العلامة الشيخ محمد هاشم الهدية الرئيس العام لجماعة أنصار السنة بالسودان ، والتي بعث بها إلى مجلة التوحيد ، ونشرت قبل هذا الكلام

● وأكاد أوافقه على رأيه وتعقيبه. غير أن لي ملاحظات أحب أن أبديها ، وهي تتعلق بما نسبه فضيلته إلي من أنني قلت :

[إن جماعة أنصار السنة تعمل لتربية الفرد العادي في العقيدة وغيرها من قواعد الإسلام ، ولا تعمل للحكم بالشريعة الاسلامية مثل ما تعمل جماعة حددتها ، ورأيت أنها تعمل للاصطلاح من فوق ، ونحن نعمل من تحت]

● ولي على هذه العبارة عدة تحفظات :

١ — لم أقل ، ولم يخطر ببالي على الإطلاق أن أقول : إن جماعة أنصار السنة المحمدية لا تعمل للحكم بالشريعة الإسلامية .

ويمكن لفضيلة الشيخ الجليل أن يراجع تسجيلات محاضراتي التي أشار إليها ليسمع ما قلته عن الجاهلية .. وعن الحكم بغير ما أنزل الله !

ويمكن لفضيلته أيضا أن يراجع محاضراتي في مدينة الأبيض ، ومواقف هناك ، فإن لم يتيسر له ذلك فليسأل الأخوين العزيزين ! صديق محمد خير ، وعثمان محمد أحمد مسيك !

٢ — أما قضية الإصلاح عن طريق تربية الأمة ؛ فهذا ما تحدثت عنه ، وهو الذي قصدت إليه بقولي : [الإصلاح الصاعد من تحت] .

ولا شك أن جماعة أنصار السنة المحمدية تهتم بهذا النوع من الإصلاح . . وليس معناه أنها ترفض [الإصلاح النازل من فوق] . . إنما معناه أنها تبدأ بما بدأ به رسول الله ﷺ وقد بدأ رسول الله ﷺ بالتربية ، كما نعرف من سيرته ، ومنهج رسالته .

٣ — وعلى هذا فأنا متفق مع فضيلته في قوله : [إننا نرى أن الدعوة التي جندنا أنفسنا لها تعمل لإصلاح الفرد والسعي الحثيث لتكون الشريعة الإسلامية هي الحاكمة في المجتمع]

٤ — وأما قول فضيلته :

[إن من أول واجبات جماعتنا أن لا تستهين بعمل أي جماعة مهما خالفتها في أسلوبها فتعترف بالحق ، وتستهجن غيره]

فهذه نقطة أخرى أوافق فضيلته عليها ؛ بل أؤكد أن هذا هو منهجي الذي ألتزم به أعتز .

لكن ؛ ليس معنى هذا أن نذوب في الآخرين ، وأن لا تكون لنا شخصيتنا المستقلة ، وكياننا المتميز . . ! وبعد ؛ فهذه بعض التحفظات . . !

ومازال لي على هذه التحفظات تحفظات . . .

محمد جميل غازي

تعقيب ورأى :

هذه شعوذة وهوس!..

بقلم فضيلة الشيخ محمد عبد الهادى
مدير دار الحديث المكية

ألف المدعو السيد صالح أبو بكر كتاباً أسماه «الأضواء القرآنية» يرد فيه على الإمام البخارى أمير المؤمنين فى الحديث :

حقاً إن السيد صالح تعدى طوره ولم يعرف قدره ليقف عنده أو دونه فهو كما قيل :

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

ومثله أيضاً كمثل بعوضة تطن عند أذن أسد ؛ ونقول له أيضاً :

إذا كنت لا تدرى فتلك مصيبة
وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم

وهناك مثل يقول :

نبح الكلاب لا يضر السحاب .

ومثل آخر يقول :

إذا ما أراد الله حتفا بنملة
أتاها جناحين لها فأطارها

فمن أنت أيها النكرة حتى تأتى فى آخر الزمان فتطعن فى صحيح البخارى الذى أجمعت الأمة على أنه أصح كتاب بعد كتاب الله ، فالأئمة الأربعة والراسخون فى العلم مضوا ولم نجد منهم أحداً طعن فى صحيح البخارى.

ولا شك أن صحيحى البخارى ومسلم وبقية كتب السنة هى فخر لهذه الأمة المحمدية إذ لا يوجد مثل هذا التراث فى أمة من الأمم غيرنا ، ولهذا حسدونا عليه فسلطوا عليه المعاول من الداخل والخارج . مثلك أنت وأمثالك وأزلامك فى صحيح البخارى هو نفسه علم من أعلام النبوة التى تظهر لنا يوما بعد يوم كما جاء فى الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال: « بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مسلماً ويمسى كافراً ، ويمسى كافراً ويصبح مسلماً يبيع دينه بعرض الدنيا » . فما أكثر من باعوا دينهم بعرض الدنيا من شيوعيين وملحدين ولا يبعد أن تكون منهم : فاتق الله أيها الرجل وعد إلى صوابك قبل أن يحل بك ما حل بأمثالك من عقوبة عاجلة أو آجلة . والله ولى التوفيق.

تراثنا الإسلامي والعربي
بين البعث والضياع

للأستاذ محمد السيد الجليند
مدرس الفلسفة الإسلامية المساعد بكلية دار العلوم

(١)

لقد أثير حول قضية التراث كثير من الآراء وكتب عنه كثير من المقالات سواء داخل جمهورية مصر العربية أم فى خارجها من أنحاء الوطن العربى كما فضل بعض الدارسين أن يفتتح بعض مؤلفاته بمقدمة عن التراث وقضاياه محاولا بذلك أن يبرز رأيه فى المشكلة ويحدد اتجاهه إزاءها .

وكل هذا ولاشك يعطينا دليلا قوياً على أهمية هذه القضية وخطورة الحديث عنها ، خاصة إذا علمنا أن تشكيل الثقافة العربية المعاصرة بالشكل الإسلامى الجاد ، والعربى الأصيل يتوقف إلى حد كبير على إحياء التراث والحفاظ عليه .

وانطلاقا من هذا الإحساس وجدنا أصحاب الاتجاهات المختلفة والانتماءات السياسية الملونة يحاولون إبعاد هذه القضية تماماً عن حاضرنا لما فى إحيائها من خطورة عليهم فى ضياع وجاهتهم أو مركزهم الاجتماعى ، واستطاعوا — بما لهم من « دبلوماسية » فى ترصيع الألفاظ وانتقاء الكلمات التى تمتاز بوقعها وجرسها فى أذن الشباب — أن يتسللوا إلى بعض أجهزة الإعلام سواء منها المقروء أو المسموع ويوهموا الشباب أن حاضرنا المنتكس لا سبيل لنا إلى اصلاحه والنهوض به إلا إذا نفضنا أيدينا من الماضى المتهم وأغمضنا أعيننا عن قيود ومفاهيم التراث الذى كبل الأجيال بسلاسل حديدية أعجزتهم عن التقدم .

وهذه النغمة ليست جديدة على آذاننا ولكن الخطر الجديد الكامن وراءها أن أصحاب هذه الدعوى قد خلا لهم المسرح الإعلامى فى فترة من تاريخ هذه الأمة حاولوا خلالها أن يغروا شباب هذا الجيل بما فى الحضارة الأوربية من مظاهر التقدم وماوا كب ذلك من وسائل الرفاهية وسيادة

العالم الثالث مادياً وعلمياً وأوهموا الشباب أن هذه الحضارة الأوربية لم تقم إلا بعد الانسلاخ من الماضى تماماً وأن سبب تأخرنا يرجع أساساً إلى تمسكنا بذلك الماضى وتقاليده .

وهذا تضليل للشباب ومغالطة لمفهوم الحضارة وزيف على ماضينا فإن أى حضارة إنسانية لم تنشأ من فراغ .

كما أن أوربا حين نهضت لم تنس ماضيها ولم تقطع صلتها به .

وليس فى ماضينا ولا فى تراثنا مايعيب حاضرنا حتى نتناساه أو نغض نظرنا عنه وليس فيه ما يعوق التقدم الحضارى بل يحمل هذا التراث فى طياته القوة الحقيقية الدافعة لنا نحو التقـــدم لو نحن فهمناه حق فهمه وتمثلنـاه فى سلوكنا الفردى والاجتماعى .

ولاشك أن شبابنا قدعاش فترة طويلة من الزمن فيما يشبه الفراغ الثقافى والدينى استطاع أصحاب الانتماءات المذهبية والفكرية خلال هذه الفترة الحرجة من تاريخ أمتنا أن يوسعوا الهوة بين شبابنا وبين ماضيه وأن يقطعوا الصلة بينه وبين تراثه ، وصوروا التراث الإسلامى على أنه مجموعة من القيود التى كبلت ماضينا وعاقته عن التقدم ؛ وأصبحت أى دعوة لإحياء هذا التراث تعتبر ردة فكرية أو هى دعوة إلى التحجر والجمود ، ولم يكن هناك من يحاول أن يأخذ بيد الشباب ليفتح عقله وفكره على الحقائق عارية من لون المناسبة أو الزمان والمكان ، وإذا كان هناك من يحاول ذلك فإن محاولته كان لابد أن تجهض قبل تنفيذها بأى وسيلة سواء كانت وسيلة مشروعة أو غير مشروعة إنسانية أم تتنافى مع أبسط قواعد الإنسانية ، وكانت نتيجة طبيعية لكل ذلك أن يشغل الشباب نفسه بما يملى عليه من ثقافات وآراء ، ويعتنق ما يطرح عليه من مذاهب وأفكار ظاهرها الرحمة وباطنها الفساد والتحلل من كل قيمة اجتماعية أو خلقية أو دينية ، ولقد ساعد المناخ السياسى والاجتماعى والاقتصادى الذى عاشه شبابنا على الرواج لهذه البضاعة الغثة، حتى استطاع تجارها أن يملوا على الشباب ما شاءوا من آراء فى الوقت الذى سكت أو أسكت فيه غيرهم ، وينشرون ضحالتهم على المجتمع حيث طويت صحائف غيرهم ، وصار الأمر كما يقول الشاعر :

خلا لك الجو فبيضى واصفرى

ونقرى ما شئت أن تنقرى

وهذا شأن البضاعة الغثة دائماً ، لاتجد رواجها إلا فى فترات التحول الاجتماعى أو التغيير الإيدلوجى للشعوب حيث تهتز

القيم فى نظر المجتمع وتهاوى المبادىء السائدة ليحتل غيرها مكانها وتتحول أنظار الشباب واتجاهاتهم عن بعض الآراء والأفكار لتعتنق غيرها أو تدين به .

ولقد مضى ربع قرن من الزمان على هذه التجربة الثقافية التى حاول البعض أن يطرحها - قسراً - على شباب الجيل كبديل للقيم الثابتة والمبادىء الراسخة فى وجدانه والتى ورثها عن دينه وتراثه، وخلا للمسرح الثقافى والإعلامى طوال هذه الحقبة لأصحاب هذه التجربة فلم يكن هناك صوت يسمع غير صوتهم ولا مايكتب إلا قولهم .

وبعد مضى هذه الفترة من التاريخ يكون من حق شبابنا أن يسأل ويتساءل عن القيمة الخلقية التى قدمها أصحاب هذه التجربة للشباب ليعمل بها ويؤمن بصدقها وما هى القدرة السلوكية التى غرسها هؤلاء فى قلوب الشباب لتكون له هادياً وسط رياح هذا العصر العاتية.

لقد فتح الشباب عينه على المجتمع فوجد فيه كل شىء مباحا لا حرمة له ، المال مباح ، العرض مباح ، الإنسان مباح !

نعم صدقونى .. لقد وجدوا الإنسان مباحا ، دمه ، وماله ، وعرضه ، فكان من الطبيعى ألا يثق الشباب فى حاضره ولا يؤمن بمستقبله . ونشأ لدى الشباب نوع من الشك فى كل شىء نتيجة الفراغ الذى يمكن أن يسمى بالفراغ القيمى الذى أورثه هؤلاء للشباب ، فليست هناك قيمة محترمة ولا مبدأ مقدس ولا دين يراعى ولا أخلاق فى السلوك .

وهذا النوع من الفراغ القيمى هو الذى يفسر لنا تلك الهوات الخلقية العنيفة التى بدت فى السلوك العام على مستوى الفرد أو الجماعة . فالرشوة والمحسوبية وسيلتان مشروعتان للحصول على الهدف ، والاختلاس والنهب والثراء الفاحش هدف مقدس لكل من يشغل عملا أو منصباً يسمح له بذلك .

ناهيك بما تراه فى المجمعات الاستهلاكية والجمعيات التعاونية الزراعية بالريف ، إن هذه كلها مظاهر يندى لها جبين هذا الجيل خجلا وعاراً وهى نقطة سوداء فى صحائف أولئك الذين حاولوا صرف الشباب عن ماضيه وتراثه ، وهذه الفوضى القيمية هى التى يجب أن نتلمس فيها التغيير الصحيح لتلك الحركات الطلابية والعمالية التى أخذت على عاتقها مهمة التعبير عما يسود المجتمع من فوضى عمت كل مظاهر الحياة . فلقد حاول الشباب - سواء فى المصنع أو الجامعة - أن يتحمس مايلتف عليه من أفكار ومعتقدات وثقافات طيلة ربع قرن من الزمان فوجد بين يديه إلا سراباً فكرياً أورثه الحيرة والشك فى كل شىء وتولد عن ذلك شعور باللامبالاة تلك الظاهرة الخطيرة

التى نجدها فى المشارع والمصنع والمركبة ، ولا بد أن نلتمس العذر للشباب فى كل مايصدر عنه من تصرفات ، لأنه قد افتقد القدرة فى السلوك والقيمة الخلقية التى يتمثلها فى عمله.

وفى هذا الجو المشحون بفقدان الثقة فى كل شىء كان لابد للقيم الخلقية أن تتقلص، كما افتقدت المبادىء الدينية من يحميها أو يمليها على الشباب . وهـذه المبادىء كفيلة بتأصيل روح النقد والتمحيص لجميع الأفكار المطروحة على الشباب ، ولقد حرص أصحاب الأفلام المسمومة خلال هذه الفترة أن يظل الشباب هكذا بعيداً عن تلك المبادىء منقطع الصلة بماضيه وتراثه ليصبح أسيراً لفكرهم غير ملتفت إلا إليهم ، وأن تظل تلك القيم الخلقية والمبادىء الدينية هكذا بعيدة عن مجرى الحياة اليومية ، وإذا حاول البعض أن يلفت نظر الشباب إلى مايراد به من إفلاس ومايراه بمجتمعه من ضياع قام فى وجهه المضللون من الناس ليقذفوه بالتهم الشنيعة التى من أبسطها الرجعية والجمود .

٢ — اصلاح القلب أولا :

ومن المبـادىء المقررة فى كل حركة إصلاحية أن يبدأ بالبحث عن الأسباب التى أدت إلى ظهور الفساد والمرض الاجتماعى ، فإذا ماتم اكتشاف السبب بصدق وأمانة فإن السبيل إلى علاجه يكون سهلا وميسورا.

ومشكلتنا التى نعانى منهـا الآن هى الإنسان .. نعم .. الإنسان هو مشكلة هذا العصر فى بلدنا .. كيف نمنحه الثقة فى ماضيه وحاضره ومستقبله ؟ كيف نرده إلى حظيرة الأمن والأمان .؟ كيف نأخذ بيده إلى دفء النور العقائدى السليم . كيف نرفع عنه غبار الشك وفقدان الثقة فى كل شىء . كيف نرده إلى برد اليقين.؟ كيف يعرف الإنسان الفرد أنه نفسه صاحب الغنم والغرم فى كل مايجرى فى هذا البلد . ليعرف كيف يقول المخطىء قف .. والمصيب تقدم . بصرف النظر عن هوية هذا المخطىء أو مكانة هذا المصيب . إننا إذا وصلنا إلى هذه المرحلة نكون بعون الله قد بدأنا الخطوة الأولى فى هذا الطريق إلى الإصلاح .

إن إصلاح المجتمع لايكون إلا بصلاح أفراده . فالإنسان أولا وأخيراً هو المحور الأساسى الذى يجب أن تبدأ منه وبه كل حركات الإصلاح الاجتماعى إذا كانت هذه الحركات صادقة وأمينة ، فكم من المصانع أنشئت ولكن سرعان مافسدت لأن الإنسان الذى يديرها هو نفسه فى حاجة إلى إصلاح وما لم تبدأ بإصلاح الإنسان أولا فلا أمل يرجى فى إصلاح شىء فى هذا المجتمع .

وإصلاح الإنسان عملية صعبة ومعقدة. فإن ذلك يقتضى طرح أفكار وخلع معتقدات

وغرس البديل الصالح مكانها. والمفتاح الحقيقي لهذه الحركة الإصلاحية يكمن في إيقاظ مايسمى بالضمير وحراسته والسهر عليه حتى لايغيب عن حضوره أو يغفو عن موقعه أو يخضع لنزوة طارئة وهوى عارض وتراثنا المفتري عليه هوالذي أمدنا بهذه الحقيقة الناصعة التي اعتبرها أصحاب المذاهب الفلسفية والخلقية نقطة البدء في كل حركة إصلاحية وهذه حقيقة عبر عنها الرسول بقوله « ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » .

نعم إصلاح القلب أولا هو البداية الصحيحة إلى كل إصلاح يراد بهذا البلد ، فالقلب هو مصدر النية ومحط الإرادة وهي الأداة المحركة للانسان نحو أي فعل يراد . فماذا لو صلح قلب التاجر والعامل والزارع والطالب والطبيب والأستاذ . ماذا لو صلح قلب الرئيس والمرؤوس . ماذا لو صلح قلب الواجد والمعدم ؟.

يقيني لو صلحت قلوبنا لصلح حالنا واختفت تماماً كل مظاهر الشقاء والتعاسة التي نعاني منها الآن .

ومما يثير الحسرة حقاً أن الذين ينادون الآن برفض تراثنا بأساليبه ومفاهيمه هم أنفسهم الذين هللوا وكبروا حين وجدوا هذه الحقيقة في تراث الغرب واحتفوا أمامها إجلالا وأخذهم مافيها من بعد في النظر ووضوح في الرؤية . وهذا دليل على اختلال الموازين واضطراب المعايير وتزلزل القيم ، فليست القضية إذن أن التراث غير صالح لمواكبة التقدم والحضارة ، ولكن الهدف الأسامى هو إماتة البعث الديني المواكبة لحركة إحياء التراث الإسلامي ، لأن قضية التراث ترتبط ارتباطاً عضويا بحركة الإحياء الديني وباليقظة الإسلامية التي ظهرت ملامحها عند الشباب ، واليقظة الدينية في هذه الأيام تعني تماماً القضاء على كل مايتمتع به المأجورون من دعاة المذاهب السياسية الملونة - وهم حقا متمتعون بالكثير - وضياع هذا من تحت أيديهم شيء له خطره فهم إنما يعملون بشق الأنفس على إماتة كل بعث ديني حفاظا على مركزهم ووجاهتهم لأنهم لايعرفون العمل في النور حتى لاتصاب أعينهم بأشعة الحقيقة الناصعة ، وإذا تكلموا أو كتبوا فلا يكون ذلك إلا تنفيسا عن الحقد الدفين الذي يعانون منه نحو أي حركة إصلاحية أو بعث ديني .

أما صالح هذا البلد . أما مشكلات الشباب . أما حالة الشك وفقدان الثقة . أما حالة الفوضى وظاهر في اللامبالاة . فهذا شيء لن يغفره الله لهم ولن ينساه التاريخ .

٢ — استدراك على مقال :

الحج فى الكتاب والسنة

— بقلم الاستاذ محمد سليمان محمد عثمان

وعدنا فى عدد محرم الماضى أن نعرض للأحاديث التى أوردها الأخ الكاتب ، فى موضوع النزاع ، ونتبعها بالنقد ، ونبين مافيها من ضعف ونكارة ، وأنها لاتساوى شيئاً عند المحققين الحفاظ من أئمة الحديث.

ولكن يجدر بنا قبل ذلك أن نقدم بين يدى البحث نماذج من سلوك القوم وهديهم وما كانوا عليه من تجريد التوحيد وإماطتهم إياه بسياج من الحذر والتحفظ من أن يدنس بشائبة من شوائب الشرك وإن قل ، أو يورطوا أنفسهم فى ذريعة من ذرائعه فينفذ منها الشيطان إلى قلوبهم .

ولنكتف الآن من هذه النماذج بمثالين فإننا لو ذهبنا نتتبع الأمثلة التى ذخرت بها كتب السنة لضاق بنا المقام ولم تتسع لها صفحات المجلة المحدودة ولا غيرها من عشرات الصحف . وحسبى الآن أن أرشد من أراد أن يتتبعها فى مظانها من الكتب المعتبرة الصحيحة .

والمثال الأول هو ماصح عن مالك رحمه الله ، وقد أشرنا إليه فى مقالنا السابق ، وسنتناوله هنا بشىء من الإيضاح والتفصيل وهو ماذكره القاضى عياض وغيره عن مالك أنه كره أن يقال زرنا قبر النبى ﷺ .

وقال مالك فى المبسوط أيضاً . ولا بأس لمن قدم من سفر أن يقف على قبر النبى ﷺ ويدعو له ولأبى بكر وعمر . قيل له فإن ناساً من أهل المدينة لايقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك مرة أو أكثر ، وربما وقفوا فى الجمعة أو الأيام المرة والمرتين . أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة . فقال لم يبلغنى هذا عن أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولم يبلغنى عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك .

والمثال الثانى : هو ماجاء عن على بن الحسين ، أنه رأى رجلا يجىء إلى فرجة كانت عند قبر النبى ﷺ فيدخل فيها فيدعو

فنهاه . فقال ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال : لا تتخذوا قبري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم . وفي لفظ وصلوا على حيث ما كنتم فإن تسليمكم يبلغني. ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء .

فهذا علي بن الحسين زين العابدين وهو من أجل التابعين علماً ودينا . حتى قال الزهري ما رأيت هاشميا مثله . وهو يذكر هذا الحديث بإسناده ولفظه : « لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا على حيث ما كنتم فإن تسليمكم يبلغني »، وهو حديث مشهور في سنن أبي داود ، ورواته ثقات مشاهير .

فمن كلام هذا السيد الجليل زين العابدين ابن الحسين رضي الله عنه وعن أبيه وعن جده وما جاء قبل ذلك من قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى يعلم أنه لم يكن أحد من سلف هذه الأمة في عصر الصحابة ولا التابعين ، ولا تابعي التابعين يترددون على قبر النبي ﷺ يتحرون عنده الدعاء والصلاة كما يفعل ذلك الغلاة في هذا العصر بل إن التردد على قبره وتحري الصلاة والدعاء عنده من المنكرات والبدع التي أحدثها المتأخرون ، فلو أن إنساناً ذهب إلى المدينة فقصد المسجد فبدأ عند دخوله المسجد بالصلاة والسلام على رسول الله كما هو أمره ﷺ عند دخول المساجد ثم صلى ما قدر له وأكثر من الدعاء والصلاة على رسوله والدعاء لصاحبيه ، حيثما كان في المسجد ثم انصرف مصليا مسلما على رسوله دون أن يذهب إلى القبر لما أنكر عليه ذلك إمام يقتدى به من أئمة المسلمين ، ولما رماه أحد بالجفاء لرسوله كما جاء في هذا الحديث المكذوب المختلق .

وتأمل قول الإمام مالك . لم يبلغني هذا عن أهل العلم ببلدنا وتركه واسع . تزدد يقينا بما قلت .

وقوله : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها . دليل على أن الفساد المستشري في البلاد والخرافات التي امتلأت بها أدمغة الكثيرين حتى صارت حجابا دون فهم الدين، على ما كان عليه سلف الأمة إنما هو انحرافهم عن الطريق القويم ، والمنهج المستقيم الذي رسمه رسول ﷺ .

ومن المثالين السابقين نعلم أن السلف من الصحابة والتابعين إنما امتنعوا عن التردد على قبره ﷺ ، لتحذيره من ذلك بقوله: « إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك ».

وقوله : « اشتد غضب الله على قوم

اتخذوا قبوراً نبياتهم مساجد . فلو كان هذا معروفاً عندهم لما أنكره مالك ولا أنكره زين العابدين بن الحسين رضى الله عنهما .

ومن هنا نعلم كذب الحديثين اللذين أوردهما الكاتب فى مقاله . وأن هذا الذى شاع بين المتأخرين من العكوف على المشاهد وتحرى الدعاء عندها واتخاذها عيداً ومساجد إنما هو من عمل الشيطان يستدرج به أولياءه ليوقعهم فى حبائله ، والعجب أن الكاتب الفاضل اعترف بضعف الحديثين فى خطاب خاص بعث به إلى بعض الإخوان .

واستدرك ذلك وقال: ولكن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال . .

ونقول للكاتب الفاضل : إن العلماء الذين قالوا : يعمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال لم يطلقوا القول فى ذلك إطلاقا ، وإنما شرطوا لذلك شروطا .

« منها » أن لا يشتد ضعفه حتى يعتبر فى عداد الموضوعات «ومنها» أن لا يكون فى الباب حديث صحيح يدفعه « ومنها » أن لا يعارض ماعلم من هدى الصحابة وسلف هذه الأمة بالضرورة .

أما معارضة ماعلم عن الصحابة والسلف فقد علم من المثالين السابقين ما كانوا عليه من إنكارهم لمثل هذه الأحوال .

ونقد اعترف الكاتب بأن حديث «من حج ولم يزرنى فقد جفانى » ضعيف جداً فقد رواه الدارقطنى وابن حبان ، وفى إسناده ابن شبل وهو ضعيف جداً ووثقه عمر بن موسى ثم قال: قال الدارقطنى والطعن فى هذا إنما على ابن النعمان لا على الحديث ورواه البزار . انتهى كلام الكاتب فى خطابه الذى أرسله رداً على اعتراض بعض الإخوان .

والجواب: إن مجرد رواية الدارقطنى وابن حبان وابن عدى لا يجعله فى مرتبة الصحيح . فإن هؤلاء قد يروون الغرائب والموضوعات فى كتبهم ، ويزداد العجب عندما يقول الكاتب « فى إسناده ابن شبل وهو ضعيف جداً »

أى أن الحديث ضعيف جداً لوجود هذا الرجل فى إسناده بإقرار الكاتب واعترافه فكيف ترد الأحاديث الثابتة بحديث ضعيف جداً ؟ ثم ما معنى قول الكاتب « والطعن فى هذا على ابن النعمان لا على الحديث » ؟

عجيب وأى عجب أليس الطعن على الراوى طعنا على الحديث ؟ وهل نعرف درجة الحديث إلا بدرجة راويه ؟ والدارقطنى رحمه الله أراد بالطعن على ابن النعمان راوى الحديث الطعن على الحديث نفسه وتوهينه وعدم صلاحيته لأن يكون دليلا فضلا عن أن يعارض الثابت عن رسول الله ﷺ .

واسمع مايقوله النقاد ، ومنهم الحافظ الإمام محمد بن عبد الهادى المقدسى المتوفى سنة ٧٤٤ فى كتابه الصارم المنكى: «هذا الحديث من الموضوعات المكذوبة والنعمان بن ثابل ليس بشىء ولا يعتمد عليه .

وفى إسناده أيضا محمد بن الفضل بن عطيه كذاب مشهور بالكذب ووضع الحديث»

وقال فى موضع آخر « واعلم أن هذا الحديث منكر جداً لا أصل له بل هو من المكذوبات الموضوعات لم يروه إلا من جمع الغرائب والمناكير والموضوعات ، ولقد أصاب ابن الجوزى فى ذكره فى الموضوعات»

ثم ما الذى يضطرنا إلى الأحاديث الضعيفة ؟ وعندنا الكثير الطيب من الصحيح الذى ثبت عن رسول الله ﷺ .

أمامك طريقان : طريق واضح مأنوس يؤدى بك إلى الغاية فى أمان ويسر ، وآخر طريق مجهول موحش لا يعرف الإنسان إلى أين ينتهى به . فأى الطريقين أولى بالعاقل أن يسلكه .

لاشك أن ماصح عن رسول الله هو المنهج المستقيم والحجة البيضاء التى لا يزيغ عنها إلا هالك وتلك الطرق الموحشة الملتوية هى طرق الأحاديث الضعيفة التى أنكرها حملة العلم النبوى ودفعوها لأنها تخالف الأصول التى صحت لديهم عن نبيهم صلوات الله وسلامه عليه .

أما بعد . فيا أيها الإخوان :

أكثروا من الصلاة والسلام على نبيكم حيث ما كنتم فإن كثرة الصلاة عليه تزكية لنفوسكم ، وزيادة فى حسناتكم ومحقـة لذنوبكم ، وتفريج لكروبكم ، فاللهم صل على محمد عبدك ورسولك أفضل وأزكى ماصليت على أحد من خلقك ، واجزه عنا أحسن ماجزيت نبياً عن أمته واجعلنا من أتباعه وحزبه المفلحين .

اللهم ارفع درجته ، وأكرم مقامه ، وثقل ميزانه ، وأبلج حجته ، وأظهر ملته وأجزل ثوابه ، وألحق به من ذريته وأهل بيتـه ماتقر به عينه

اللهم اجعل فى السابقين غايته وفى المنتخبين منزلته وأنزله فى غرفات الفردوس من الدرجات العليا التى لا درجة فوقها .

اللهم اجعل محمداً أصدق قائل وأنجح سائل وأول شافع وأفضل مشفع وشفعه فى أمته بشفاعة يغبطه بها الأولون والآخرون.

اللهم اجعل نبينا لنا فرطا واجعل حوضه لنا موعداً ، وزكنا بالصلاة عليه ، واجمع بيننا وبينه فى رغد العيش ، وبرد الروح ، وبهجة النعيم ، فإنا نشهد أنه قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، فاللهم بلغ روحه منا تحية وسلاماً .